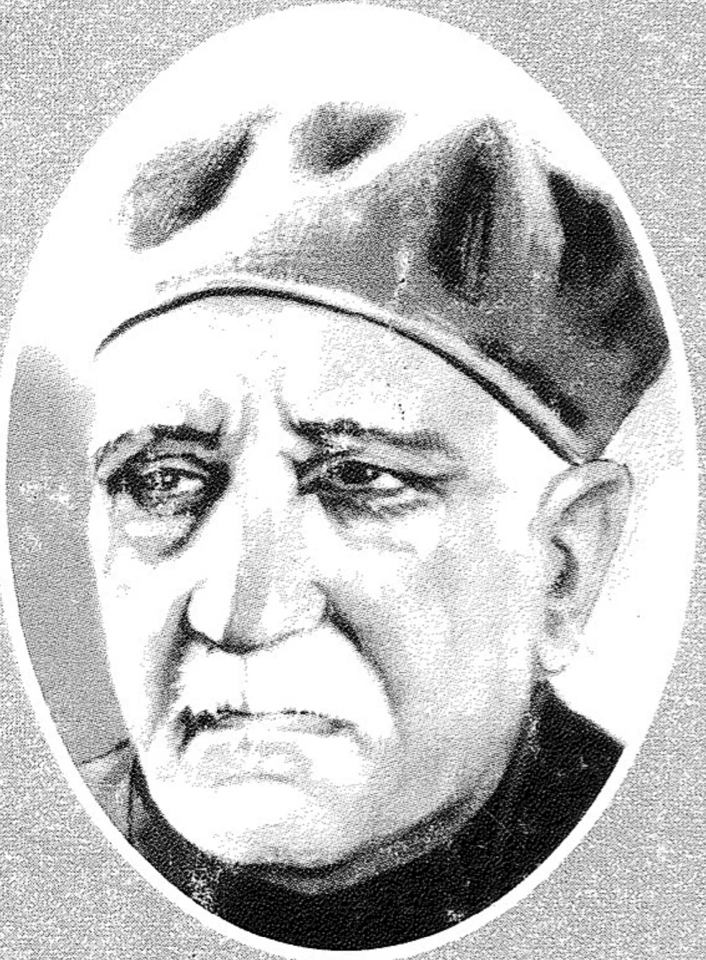
٥

عباس محمود العقاد



ديوان هدية الكروان

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

عباس محمود العقاد

هدية الكروان

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

عنوان الكتاب: هدية الكروان
اسم المؤلف: عباس محمد العقاد
تاريخ النشر: مارس ١٩٩٧

رقم الإيداع: ١٣٩٨٠/ ١٩٩٦ .
الترقيم الدولي: I . S . B . N 977 - 14 - 0538 - 1
تصميم الغلاف: م. محمد العتر

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٧ – ٣٣٠٢٨٩ / ٠١١ .
فاكس: ٣٣٠٢٩٦ / ٠١١ .
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقي – الفجالة – القاهرة .
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ – ٥٩٠٨٨٩٥ / ٠٢ .
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ /٠٢ .
ص.ب: ٩٦ الفجالة
ادارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابي – المهندسين – القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ – ٣٤٧٢٨٦٤ / ٠٢ .
فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ /٠٢ .
ص.ب: ٢٠ امبابة

تسمعه الفينة بعد الفينة فى جنح الليل الساكن النائم البعيد القرار ، فيشبِّه لك الزاهد المتهجد الذى يرفع صوته بالتسبيح والابتهال فترة بعد فترة ، ويشبه لك الحارس الساهر الذى يتعهد الليل بالرعاية بين لحظة ولحظة ، وينطلق بالغناء فى مفاجأة منتظرة أو انتظار مفاجئ فلا تدرى أهى صيحة جذل أم هى صيحة روعة وإجفال ، ولكنك تشعر بالجذل والروعة والإجفال تتقارب وتتمازج فى نفسك حتى لاتتفرق ، كأنك تصغى إلى طفل يرتاع وهو جذلان ويجذل وهو مرتاع! ويطلب الخطر ويشتهيه لأن للخطر فى حسه طرافة وحركة ، فهو من عالم التفاؤل والإقبال لا من عالم التشاؤم والنكوص .

ويطلع عليك بهتافه من هنا ومن هناك ، وعن اليمين وعن الشمال ، وعلى الأرض وفوق الذرى ، فيخيل إليك أنك تستمع إلى روح هائم لايقيده المكان ولايعرف المسافة ، أطلقوه فى الدنيا على حين غرة فسحرته فتنة الدنيا وخلبته محاسن الليل ، فهو لايعرف القرار ولايصبر فى مطار ، فأنت تتلقى من صوت هذا الطائر الأليف النافر عالما من معان وأشجان يتجاوب فيها تقديس المصلى القانت وحدب الحارس الأمين وروح الطفولة ومناجاة الخطر المقبول وهيام الروح المنهوم بالحياة والجمال : عالم لانظير له فيما نسمع من غناء الطير بهذه الديار .

ومن العجيب أنك لاتقرأ صدى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون ، على كثرة ما يسمع الكروان فى أجوائنا المصرية من شمال وجنوب ! .

وأعجب منه أنك لاتقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ماتُسمع فى هذه الأجواء !

فكأنما العامة عندنا أصدق شعورا من الشعراء ، لأنهم يلقبون المغنى بالكروان ولايلقبونه بالبلبل ، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون .

وليس عن تعصب منا للوطن نؤثر الكروان على البلبل وما إليه ، لأن التعصب الوطنى على هذه الصورة حماقة لامعنى لها فى الشعر والشعور ، ولكننا نؤثره لأن الإعجاب به صحيح يصدر من الطبع الصادق ، أما الإعجاب بالطير الذى لانسمعه فذاك محاكاة منقولة تصدر من الورق البالى وتؤذى النفس كما يؤذيها كل تصنع لاحقيقة فيه ، وأخف موقع له فى نفوسنا أن يضحكها ويغريها بالسخرية .

كذلك الأصم الذى أراد أن يخفى صممه فى مجلس الغناء ، فأوصى صاحبه أن يغمزه كلما وجب الصياح والاستحسان ، فلما نام وراحوا يوقظونه آخر الليل قام يصيح ويستحسن ولا سماع هناك ولاسامعين ! .

وإذا لم يشعر الشاعر بتغريد الطير على اختلافه فبماذا عساه يشعر؟ إن الطير المغرد هو الشعر كله لأنه هو الطلاقة والربيع والطرب والعلو والتعبير والموسيقية ، فمن لم يأنس به لم يأنس بما فى هذه الدنيا من طبيعة شاعرة ولم يختلج له ضمير بما فى الحياة من فرح وجيشان وتعبير .

والطير بعد هو حجة الطبيعة لشعر الإنسان وغناء الإنسان ، فهو

عند الشاعر وثيقة لايعرض عنها ولا يفلتها من يديه ، فإذا قال الجفاة الجامدون : إن الشعر لغو فى الحياة ، قال الشاعر : إن التعبير الموسيقى عنصر من عناصر الطبيعة ، وإن الطير يغنى ويهتف ، وإن الطير يفرغ للغناء وحده إذا شبع وأمن ، كأن الغناء والتعبيرعن الشعور هما غاية الحياة القصوى ، لاينساها الحى إلا لعائق يشغله ويغض من حياته .

والجفاة الجامدون يقولون كثيرا عن الشعر فى الزمن الأخير : يقولونه على الرغم من هذا الشعر الذى تفيض به الطبائع الحية ولاسيما الأحياء المغردة الطائرة ، ويقولونه على الرغم من ملازمة الشعر لكل أمة ولكل قبيلة ولكل لغة ، فلو كان شيئا عارضا فى الحياة الإنسانية لما وجد حيث توجد الحياة الإنسانية ، ولو كانت الموسيقية نافلة فى الدنيا لما وجدت فى أمة الطير ، وإذا وجدت فى لسان الطائر فلماذا تحرم على لسان الإنسان؟ ولماذا يكون الكلام الإنسانى وحده بمعزل عن الأوزان والأشجان ؟ .

فبين الطائر المغرد والشاعر الشادى محالفة طبيعية لا تحنث فيها الطير ولاتقصر فى إسداء حصتها الخالدة ، والشعر مهما أسلف من ثناء على الطير وتمجيد للتغريد لن يوفى كل دينه ولن يستنفد كل حصته ، فلتكن «هدية الكروان» بعض الهدايا التى يتصل بها السبب بين عالم الطير وعالم الشعراء .

عباس محمود العقاد

الكرونـــات

هتـــفـــات الكِرْوان[1] بالليل تتـــرى

ومــــعــــــانى الربيع نورًا وعطرا

وجـــمــــال الحــيــاة حــبّــاً وحــسنًا

وشـــبـــابًا يفــيض عطفًـــا وبشـــرا

بتُّ أصـــغى لهـــا ، وأقـــبس منهـــا

ثم ترجـــمــتــهـــا لمن شـــاء شـــعـــرا

(١) جمع كروان ، بفتح الكاف والراء .

الكروان المجدد

قبل عشرين سنة نظم صاحب الديوان قصيدة «الكروان» وفيها هذه الأبيات :

هل يسمعون سوى صدى الكروان
صوتًا يرفرف فى الهزيع الثانى
من كل سارٍ فى الظلام كأنه
بعض الظلام، تَضله الغينان
يدعو إذا ما الليل أطبق فوقه
موج الدياجر، دعوةَ الغرقان

. . . .

. . . .

ما ضر من غنى بمثل غنائه
أن ليس يبطش بطشة العقبان
إن المزايا فى الحياة كثيرة
الخوف فيها والسّطا سيان

* * *

يا محيىَ الليل البهيم تهجدًا
والطير آوية إلى الأوكان
يحدو الكواكب وهو أخفى موضعًا
من نابغ فى غمرة النسيان

قل يا شبيه النابغين إذا دعوا
والجهل يضرب حولهم بجران
كم صيحة لك فى الظلام كأنها
دقات صدر للدُّجنَّة حان
هن اللغات ولا لغات سوى التى
رفعت بهن عقيرة الوجدان
إن لم تقيدها الحروف فإنها
كالوحى ناطقة بكل لسان
أغنى الكلام عن المقاطع واللُّغى
بث الحزين وفرحة الجذلان

* * *

وفى هذا العام نظم صاحب الديوان القصيدة التالية ليقول فيها : إن ما سمعه من الكروان أولا غير ما سمعه آخرا ، وإن الكروان يجدد معانيه لسامعيه فترة بعد فترة على خلاف ما يسبق إلى الظن بلغة الطير!

وهذه هى القصيدة :

زعموك غير مجدِّد الألحان
ظلموك ، بل جهلوك ، يا كروانى
قد غيرتك ، وما تغير شاعرا
عشرون عاما فى طراز بيان
أسمعتنى بالأمس ما لا عهد لى
بسماعه فى غابر الألحان

ورويت لى بالأمس مـــــا لم تروه
من نغـمـة وفـصـاحـة ومـعـان

* * *

شكواى منك ، وإن شكرتك ، أنه
ســرٌ تصــر به على الكتـــمــان
شكرى إليك ، وإن شكوتك ، أنه
ســرٌ تؤخـــره لخـــيــر أوان
كنز يصـان فـهـات من حـبـاته
ذخـــر القلوب وحليـــة الآذان

* * *

أنـا لا أراك! وطـالمـا طـرق الـنُّـهـى
وحىٌ ، ولم تظفـــر به عـــينان
أنا فى جناحك حيث غاب مع الدجى
وإن استـقـر على الثرى جثـمـانى
أنا فى لسانك حيث أطلقه الهوى
مـرحـا ، وإن غلب الســرور لسـانى
أنا فى ضميرك حيث باح فـمـا أرى
ســرا يغـيـبـه ضـمـيـر زمـانى
أنا منك فى القلب الصغير ، مساجل
خـفـق الربيع بذلك الخـفـقـان
أنا منك فى العين التى تهب الكرى
وتضن بالصـحـوات والأشـجـان

طِرْ فى الظلام ببهجة لو صافحت
حجر الوهاد لهمّ بالطيران
تغنيك عن ريش الجناح وعزمه
فرحات منطلق الهوى نشوان
فرحات دنيا لايكدر صفوها
بالمين غير سرائر الإنسان

* * *

علمتنى بالأمس سِرك كله :
سر السعادة فِى الوجود الفانى
سرُّ السعادة نفرة ومحبةً
فيكم تؤلف نافر الأوزان
الكون أنتم فى صميم نظامه
وكأنكم فيه الطريد الجانى
أنتم سواء كالصديق وبينكم
بعدٌ كما يتباعد الخصمان
لايحمل الطيار وزر العانى
حمل ابن آدم عشرة الأخوان
لا عالم منكم ولامتعلمٌ
كلا ! ولا متقدم أو وان
متشابهين على الحياة فكلكم
سارى ظلام ، هاتف بأغان
متفرقين على المقام ودأبكم
عند الرحيل تجمع القطان

وكـــأنما نســـخت لكل نســـخـــة

من هـذه الأجـــــــــواء والأوطــان

فــهــو الشــريك على نصـيب واحــد

وهو الوحـــيـــد فـــمـــا لـه من ثان

ذخــر الطبــيــعــة منه تعطون الحـجى

لا من ســـــبـــاق بينكم ورهان

* * *

أنتم بنى الطيــر المسـبِّح فى الدجى

فــيكم كـــهـــانة صـــالح الكهـــان

بعـــتم كـــرى الغـــافى وطِيبَ رقـــاده

وبه اشـــتـــريتم يقظة الـيـــقظان

قل مـــا اشـــتـهـيت القـول يا كـروانى

فــى لـهـــــــــو ثـرثـار وحـلـم رزّان

ســأعــيش مــثلك لى وللدنيـا مــعًــا

وأقـــول مـــثلك كـــيف يزدوجـــان

وأظل تزدحـم الحـــيـــاة بمهـــجـــتى

أبدا ويجـــتنب الزحـــام مكانى

فى عـــزلة أنا والحـــبـــيـب تؤمنا

دنيـــا الجـــمـــال ، ونحن منفــردان

* * *

الليل يا كروان

الـلـيـل يـا كــــروان بشـــــراك طاب الأوان
بشـــراك ؟ بل أنت بشـرى تهــفــو لهـــا الآذان
ســهــران فى الليل شـــاد فكلنا ســــهــــران
وإن تكـن أنـت حلـمًــــاً فـــكـــلُّـــنـــا وســـنـــان
وسنـان لـم يـشْـــــهُ قلب لــه ولا أجــــفـــــان
الـنـوم فـى الـصـــيف وزرٌ وفـى الـهـــوى كـــفـــران

* * *

الـلـيـل يـا كــــروان مـــا أنت والنســـيـــان
حـــاشـــاك مـــا أنت ســـاه عنه ، ولا كـــســـلان
الـلـيـل ذكـــرى وأنت الـ ـمـــذكـــر الـيـــقظان
لـكـنـمـــــا أنـت روحٌ وهـــل لـــروح مـــكـــان ؟
بينا يقـــال قـــريبٌ كـــأنـه الـوجـــدان
إذا بـه فـى صـــــداه كـــأنه كـــيـــوان [1]
إن كـــان فـى الـسـمـع طيف فـــأنت يا كـــروان
صـــوت ولا جـــثـــمـــان لحن ولا عـــيـــدان
كـــــأنـه هـاتـف فـى فــضـــائه حـــيـــران
أو رجـع صـــوت قـــدم يعـــيـــده الحـــســـبـــان

* * *

الـلـيـل يـا كــــروان فـــأين منك الـبـــيـــان ؟

(١) النجم عطارد ، وهو إله الغناء والفنون فى عرف الأقدمين .

ليل الطبيعة صمتٌ وأنت فيه لسان
وظلمة الليل سرٌّ فاقرأه يا ترجمان
ما فى الظلام ظلام الحـ ـياة لو يستبان
إلا صياح اشتياق تروضه ألحان
نصف الحياة اضطراب ونصفها أوزان (1)

* * *

الليل والصيف والحب ــ كلهن أوان
وأنت منهن طراً على وعود تصان
خذ صمتهن وصغه شدوًا له سريان
غص فى قرار الدياجى فللدجى شطآن
واستقبل النجم علوا إن النجوم حسان
وخذ من الصيف ناراً لا يعتليها دخان
وارقص مع الحب دوراً دارت له الأكوان
فى الأرض بيتك ثاوٍ وفى السماء افتنان
وبين ذلك ملهىً للحب ، بل ميدان
واللهو فى الحب فاعلم كالحرب يا كروان
عليك من ذا ومن ذا يا ابن الليالى أمان
شادى الغرام له من سكر الغرام ضمان

* * *

الليل يا كروان والعالم الغفلان

---

(1) الحياة مضطرب غرائز وأشواق ودوافع ، والفنون تروض هذا الاضطراب وتعالجه بالتنظيم ، فنصف الحياة فوضى ونصفها وزن ، والشعور الفنى هو الحياة الكاملة .

ونسمة الصيف تسرى وفى يديك العنان
والصبح أول مرسى يرتاده الركبان
ألا تزاور[1] عنه فى الرحلة الربان ؟!
وما ارتضاه ولكن ما الزمان زمان
فاملأ من الليل نفسًا عزيزة لا تهان
لا هتفة فيه تبقى إلى غد أو أذان
الليل يا كروان ! الصبح يا كروان !

* * *

سؤال الكروان

حذار البأس أو حب الجمال
هتافك فى الدجى يا ابن الليالى؟
ومن يقظات نفس فيك نشوى
تعاف النوم أم من سوء حال
وعندك للنجوم هوى قديمٌ
أو أنك كارهٌ للصبح قال
وهذا الطير ينعم فى ضحاه
فمالك فى النعيم بلا مثال ؟
أضل الطير ويحك عن هداه
أو أنك أنت وحدك فى ضلال ؟!

---

(١) تزاور : انحرف وأعرض .

وأين من الضـــلال هتـــاف حـــر
تـنزه عن نـشـــوز وابتـــــذال

* * *

وقـــالوا مـــا شـــدا الكروان إلا
ليــســأل عــرســه قــوت العــيــال
وقــالوا تسـرق الأعــشــاش عــمـدًا
على كــسل وضـعف فى الخــصــال
وإنك بالتـــراب شــبــيــه حـــال
وبالـديدان منهـــوم مـــغـــال
ســألت ومــا أرى لك من جـــواب
ســوى اللحن الشـجى على ســؤالى
ســأســمع منك أنغــام الليـــالى
وأســمع عنك أشـتـــات المقـــال
ولا آلوك إصـــغـــاء ووصـــفـًا
كـــلا الأمـــرين من همـى وبالـى
أبـا لـكـروان - يـا مـظـلـوم - تـدعـى
وأنت عن الكرى المحـبـوب ســال ؟ !
بحـــســبك أنهم كــذبوك جــهـــرا
وأنك صـــادق الهـــتـــفـــات عـــال
وأنك مـــفـــرد فى الطيـــر لحنا
ومـا اسـتـفـردت فى تلك الخـلال
إذا شـــابهـتـــهـــا فى النقص حـينا
فــأين المشــبــهـــاتك فى الكمـــال

غنِّ يا كروان

قـم غـن يـا كــــــــروان غـنِّ
وتمـنَّ فـى الـدنـيـــــا ومـنِّـى
وأمـن دجـــــاك وإن عـــــرفـ
ـتك فى الحـــيـــــاة قـليل أمن
فـــيم المخـــافـــة يا ســمـــيـ
ـر الليل أو فــــيم التـــجنى ؟
لا أنت جـــزل فى الصـــحـــاف
ولـسـت فى قــــــفص تُـغـنِّـى
كـــلا ولا فى خـــافـــقـــيـ
ـك الحـــائلين بريق حـــســن
والـصــــــقــــــر نـام وأنـت وحـ
ـدك تمدح الـدنـيـــــا وتـثـنـى
لـك كـل مــــــا دون الـكـوا
كب من ســمـــاك الليل مـــبنى
فــــأمن زمــــانك أو فـــخف
فــــالطبع دون الـرأى يـغـنـى
إنـي أخــــــالك لـو أمـنـــ
ـت لما هتـــــفت لـنـا بـلـحن

***

ما أحب الكروان !

مـــــــــا أحب الـكـروان !
هل ســــمـــعت الكروان ؟

* * *

مـوعـدى يا صـاحـبى يوم افـتـرقنا
حـيث كـانت جـيـرة أو حـيـث كنا
هاتف يهـتـف بالأسـمـاع وَهْنا (١)
هو ذاك الـكـروان ، هـو هـذا الـكـروان !

* * *

الـكـراوين كــثـيـــر أو قـليـل
عندنـا أو عـنـدكـم بـين الـنـخـيـل
ثم صـوت عـابر كل سـبـيـل
هو صـوت الكروان فى سـبـيل الـكروان

* * *

لـى صـدى منه فـلا تنس صـداك
هـو شـــاديك بـلا ريـب هـنـاك
فـإذا مـا عـسـعس الليل دعـاك
ذاك داعى الكروان ، هل أجبت الكروان ؟

* * *

(١) الوهن من الليل : نحو منتصفه أو بعد ساعة منه .

مـــــفــــــرد لـكـنـه يؤنـسـنـا

ســــاهـر لـكـنـه يـنـعــــــسـنـا

صـــدحت فى نفــــسه أنفـــسنا

فـتـسـامـعنا سـواء ، وسـمـعـنا الكروان !

* * *

واحــــد أو مـــائة ترجـــعــــه

عـنـدنـا أو عـنـدكـم مـطـلـعــــــه

ذاك شىءٌ واحـــد نـســمــعـــه

فى أوان وبيـــان ، هو صـــوت الكروان

* * *

واحـــدٌ بين عــــصــــور وعــــصــــور

نحن نـســتــحـيى به تلك الدهور

لـم يفــتـنا غـــابر الدنيـــا الغـــرور

فى أوان الكروان ، مــا أحب الكروان !

* * *

على الجناح الصاعد

حـــادى الظلام على جناح صــاعــد

يا أرض اصـغى ، يا كـواكب شـاهدى !

يا آنسين بصـــحـــبــة من وجــدهم

نصــوا المســامع للأنيس الواجـــد

يا ساهدين على انفراد فى الدجى
ردوا التحية للفريد الساهد
المستعز بعرسه ، وكأنه
منهما نجى مغاور وفراقد
لهجت طيور بالضحى وتكفلت
بالليل حنجرة المغنى الخالد
يحدو ويشدو لا مساعد حوله
أبدا ، وما هو آمن لمساعد
أنا صائد لصداك ، لست بصائد
لك أنت يا كروان ، فأمن صائدى
بينا أقول هنا إذا بك من هنا
فى جنح هذا الليل أبعد باعد
ووددت يا كروان لو ألقيت لى
صوتين منك على مكان واحد
إن كنت تشفق أن أراك فلاتزل
فى مسمعى وخواطرى وقصائدى
عاهدت هذا الصيف لست بواهب
سمعى سواك ، فهل تراك معاهدى ؟
من كان قد أغنى الطبيعة كلها
مغنى عن شاد سواه وشائد

* * *

ألف صدى

ألف صـــدى لهـــاتف منفـــرد على الذرى ؟
أم ألـف شــــاد رددت هتــافــهـــا مكررا
أم ذاك روح أطـلقـــو • فى الدنى مـحـيـرا
فــرادها مــسـتـغـربا وطافـهـا مـسـتـبـشـرا
فــلايقــال مــقــبل حــتى يقـــال أدبرا
هن كـــراوين الـليـــا لى أو فــقل هو الكرا[1]
لانــقــص إن قــلـت ولا مــزيد فى أن تكثـــرا
باركـــهـــا من بارك الخلـ ـد ومـــا قـــد أثمـــرا

* * *

شدو الآمن الخائف

يا صاحب الليل غام الليل أو سفرا
ولف ظلمـــاءه أو أطلع القــمـــرا
مـا أنت بالليل مـفـتـونا ، ولا كلفـا
بالنجم ، أو بظلام الليل حين سـرى
وإنما أنت مـــفــتـــون بعــزلتــه
وبالأمـان الذى تلقـاه مـسـتـترا

---

(١) الكرا : ذَكَر الكروان .

وبالحبيب الذى يدعوك مرتفعا
في ساحة الليل ، أو يدعوك منحدرا
إذا شدوت فما أدرى أذو كلف
ناغى الهوى أم نذير فاجأ الخطرا
سيان يا كروانى القلب مستعراً
بالشوق أو بضرام الخوف مستعرا
إن كان شدوك أمنًا فاشدُ فى دعةٍ
أو لا فلازلت مذعور السُّرى حِذرا !

لمن الفضل ؟

كروان الليل رتل للهوى — آية الحمد . وحمد الفطن
هو أغراك بشدو وثنى — لك سمع العاشق المفتتن
لك إلفٌ منه تستوحى ، ولى — أنا إلفٌ وحيهُ ينطقنى
أنت لولا نفحة من حبه — ساكن عندى ، وإن لم تسكن
صامت الفن - أخا الفن - وإن — صدحت ألحانه فى أذنى
غار حبى منك فاسمع إننى — عنه أروى كل شيء حسن
وله الفضل ومنه الوحى لا — منك فى كل مقال بين

* * *

ألحقنا المقطوعات الآتية بهذا الباب لأنها تشبهه وتتصل ببعض أبياته .

القمارى العارفة

مـــلأت دارى القـــمـــارى غناء
ويحـــهـــا ! هل يكشف الطيـــر الغطاء
عـــرفت عندى ربيـــعـــا بعـــدمـــا
رهبت من ظلمـــة الدار الشـــتـــاء
عـــرفـــتنى العـــام أم كـــانت هنا
كـل عـــــــام تمنح الـدار الـولاء
لم أكن أحـــفلهـــا حـــتى إذا
صـــدح الحب تســـمـــعت الغناء !

ببغاء (١)

ببـــــغـــــاءً ترنمتْ ... بمديح البـــــــلابل
أيـــن مـــنـــا بـــلابـــلٌ ... مـــســـرعـــات المراحل
فى ســـمـــاوات مـــوطن ... ليس منهـــا بأهل
بالـكراويـن عـــامـــر ... والـقـــمـــارىُ حـــافل
ناج مـــا أنت ســـامعٌ ... يا أســـيـــر الأوائل
اسلُ عن عـــاجل بذى ... صـحـبـة غـيـر عـاجل
مـــا اشـــتـــغـــالٌ بمورد ... لـستَ منـه بـنـاهـل

---

(١) الببغاء تحكى ما تسمع دون أن تعقل ، وكذلك يكون الشاعر الذى يتغنى بالبلابل على المحاكاة والتقليد دون أن يسمعه ، فهو فى مصر نادر لايزورها إلا فى رحلة عاجلة .

وانصـــــــراف عن الـذى — أنت منـه بســـــــاحل
أنـــت عـــنــدى بـــذا وذا — جـــاهلٌ أى جـــاهل
ناقلٌ لهــفــة الصــدى[1] — أو شـــبــيـــه بناقل
فــى الكراوين غنيـــــةٌ — عن نشـــيـــد البـلابل
والقـــمـــارىُّ مـــالهـــا ؟ — أصغ واســـمع ، وســـائل
إن تعـــدَّاك قـــولـهـــا — فـــالتـــمس وصف قـــائل

* * *

شدو لا نوح

شـــدوُ القـــمـــارىّ لا نوح القـــمـــارىّ
هل يعبـر الحزن بالشادى الصبـاحىّ؟
أو الـربـيــــــعىّ فـى أنس وفـى أمل
وفـى غـــــرام على الإلفين مطوىّ ؟
يا حـــسنهـــا من بشـيـرات على دعـة
كـــأنهـــا أمنت فـــوت الأمـــانىّ
مـــحــبَّـبـــات إلى الإنســـان تألفـــه
وتعــــــتـلى من ذراه كـلَّ علوىّ
تهـوى الديار ، وفى الآفـاق مطلعـهـا
مـــابالهـــا ؟ هل ســـباها حـــسن أنسىّ؟
وللأنـاسـىّ حـــــــسنٌ لا أبـوح بـه!
هل تعرف الطير مـا حـسن الأناسى ؟

---

(١) الظما .

غنّتْ لزهر وسلسال ولو رشفت
زهر المباسم جُنّت بالأغاني
أولى لقُمريِّنا أن لا يحوم على
يأس الهوى بين أنسي و«طَيْري»
غَرِّدْ على الدور يا قمريُّ في دعة
واسلم هنالك من باك ومبكيّ
واتلُ الرجاء على هذا وذاك ، ولا
تسألهما عن جوى في القلب مخفيّ
حسب المغاني التي يبكي الحزين بها
من سلوة ، أن فيها شدو قمريّ

* * *

شفاعة للغراب

حيّى الغراب الفجرَ بالنعيب تحية التهليل والترحيب
وافترَّ نور الفجر كالمجيب في غير ما لوم ولا تثريب
لهاتف ناداه من قريب

* * *

ماذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحيي النور باليقين
تحية العصفور والشاهين ؟ ألا تدين كلها بدين ؟
فماله يُعذل كالرقيب ؟!

* * *

شفاعة الأنوار والأحباب　　فى الأسود المهجور فى الخراب
ما الصّيدحُ الهاتف بالعجاب　　أصدق حبّاً لك من غراب

فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسمعهُ والطير فى أوان　　وقُبلةَ الصبح ، وقد ناجانى
صوت حبيبى باديَ الحنان　　لذلك الموعود بالحرمان

وما له فى الحسن من نصيب

* * *

أمنت منه لوعة الفراق　　وكلٌ غاق عنده وقاق
فلايزل ينعم بالإشفاق　　من الرياض الفِيح والآفاق

ومنك يافجر ، ومن حبيبى

* * *

عادات الغراب

بئس الغراب إن ذكرتُ بصوته
عطف الحبيب عليه كلٌ صباح
أبدًا يقاطع كل شاد حوله
كمعطِّلى الإنشاد فى الأفراح
فإذا شدا الكروان أتبع شدوه
بصياح شؤمٍ منه أو بنواح
وإذا ترنّمتْ القماريُّ انبرى
مابين تنعابٍ وخفق جناح

حسداً ولؤماً ، أو غروراً لم يزل
دأب الحسود وديدن الملحاح
لا عاد فرعٌ كان ينعب فوقه
فرمته فأس الحاطب الجتاح

* * *

نعب على عشه

هدموا دار الغراب ... وابتلوه بالخرابِ
قطعوا الدوحة قطعا ... ورموها فى التراب
ليت شعرىَ من هُنا النا ... عب يا رب النُّعاب
لستَ بالمأمون فاذهب ... غير مبكىٍّ الذهاب
أنت آذنت بخوف ... فى هوانا وارتياب
لم تصن عهداً لمن حا ... طك بالعطف العجاب
لحبيبٍ بات يرثى ... لك من سخر الصحاب
فامض فى غيرِ وداعٍ ... وانْأَ فى غير اقتراب
وخذ الغربان طراً ... مؤنسات فى الركاب

من ذوات العش فى النفس وفى هذى الرحاب
رب شك هو فى الأنفس شر من غراب !

* * *

سحر الطير

كل إلف له من الطيـــــر إلف
هكذا تجـمل الحــيـا وتصــفــو
أمـلٌ يـرتـقـى ، وحـبٌ يـنـاجـى
ولســـان يشـــدو ، وقلبٌ يرف
بك خفٌ الجناح يا أيهـــا الطـ
ـيـــر ، ومـــا كنت بالجناح تخف
لطف روح أعـــار جنبـيك ريشًـــا
فـــمن الروح لامن الريش لطف
ليس ينمـيك للسـمــاء جناح
بل غنلءٌ عن الضــيــاءِ يشف
إن مـضى الناس يعـجـبـون قـديمًا
كـيف تعلو ؟عـجـبتُ كـيف تُسف
ثقلةٌ فى الحــيـــاة لم ينج طبعٌ
من عــراقــيلهـــا ولم يخلُ عــرف

* * *

غـزل ومناجـاة

ارتجال المنى

مَنِّني أطيب المنى يا حبيبى فالمنى وحدهن منك نصيبى
إن يَفُتنا منالها لم تفتنا نظرة من خيالها المرقوب

* * *

مَنِّنى ، بل دع المنى يا حبيبى فشقائى فى الموعد المكذوب
هان فقد المنى التى لم تَعِدنا وافتقاد الموعود جد صعيب

* * *

أعطنى! أعطنى إذن يا حبيبى غير ما ناكث ولا مستجيبِ
أعطنى صفوك ارتجالا ودعنا من مطالٍ بالوعد أو تقريب
فارتجال المنى أحب لنفس شبعت من رويَّةِ التجريب

* * *

متى ! (١)

متى يا عيون يعود الضياءُ ؟ متى يا رياض يعود الربيع ؟
متى تأمرين ؟ متى تأذنين ؟ متى تقبلين دعاء الشفيع ؟

* * *

متى يرجع الغائب المرتجى إلى صدر أم براها السقام ؟
متى يهبط النوم تحت الدجى لعينيك يا ساهرًا لا ينام ؟

* * *

(١) إذا سأل الحبيب محبه وهو يودعه : متى يعود إليه ؟ فذلك سؤال غريب كالأسئلة الغريبة التى تتردد فى هذه القصيدة .

متى يطلع النجم للتائهين ؟   وقد غرقوا فى ليالى الخطوب
متى يجمع الشطُّ تلك السفين ؟   وقد عاث فيها الخضم الغضوب

* * *

متى يأذن الجائعون الظما   ء فى الماءِ يطفئُ حر الصدى
وفى الزاد يبقى ذماء الحيا   ة ، وفى الخمر يعلو بها مُصعدا

* * *

متى ؟ إى وربك قل لى متى ؟!   وسلهم عن اليوم والموعد
فقد يُقبل الزائر المرتجى   ولا من مُلاقٍ له فى غد ؟!

* * *

إليك مثال السؤال العجيب   وأنت بأحلى مثال تجود
عشية تبسم عند الودا   ع وتسأل : فى أى يوم أعود !

* * *

جمال يتجدد

كلما قلتَ لى الربيع جميلٌ   قلتُ : حقاً . وزاد عندى جمالا
عجبًا لى . بل العجيبة عندى   صور الكون كم يسعن كمالا
خلتنى قد وعيتهن عياناً   وتتبعت من وعوها خيالا
شاعرًا عاشقًا وقارئَ كتْبٍ   قرأ الكتب دارسًا ، فأطالا
فإذا نظرةٌ بلحظك تبدى   صورًا ما طرقن عندىَ بالا
بعداد الأنوار فى أعين الحــب نعد الأكوان والأجيالا

* * *

النبض

رأوا فما عرفوا ، كلا ولا عجبوا
ولا دروا بالذى أرجو وأرتقب
كأنما أنا من أمسِى ومن غده
لم يَختلف قط لى شجوٌ ولا طرب
فى مهجتى أملٌ فاضت بشائره
فمالهم حُجبوا عنه ، وما حُجبوا
فلو تشيم ضياءَ القلب أعينهم
لأبصروا فيه عين الشمس تقترب
كالفجر تسرى على مهل طلائعه
أو موكب النصر يدنو وهو يصطخب
الحمد لله ! لا شاموا ولا نظروا
ولا درى جاهلٌ منهم ولا أرِبُ
لو أبصروا الموعد الموموق مقتربا
لجفّلته إذن من لؤمهم رِيَب
وهبٌ للشر منهم عسكر لجبٌ
إن يطلبوه لخير عزّهم طلب
يا أيها الناس قرّوا فى مضاجعكم
إنى وحقّكم أسوانُ مكتئب!
أسوان مكتئبٌ لا الحسن يفرحنى
ولا الحبيب له فى فرحتى أرب

وهاكم النبض جسوه . أعندكم
تحت الأضالع قلبٌ خافق يثب
كلا وحقكم ! لا كان حقكم
إلا اليمين التى يحلو بها الكذب !!

* * *

اليوم الموعود

يايوم موعدها البعيد ألا ترى
شوقى إليك ، وما أشاق لمغنم ؟
شوقى إليك يكاد يجذب لى غداً
من وكره ، ويكاد يطفر من دمى
أسرغ بأجنحة السماء جميعها
إن لم يطعك جناح هذى الأنجم
ودع الشموس تسير فى داراتها
وتخطَّها قبل الأوان المبرم
ماضرّ دهرك إن تقدم واحدٌ
يايوم من جيش لديه عرمرم

* * *

لى جَنةٌ يا يوم أجمع فى يدى
ما شئتُ من زهر بها متبسم
وأذوق من ثمراتها ما أشتهى
لاتحتمى منى ولا أنا أحتمى

وتطوف من حولي نوافر عُصْمها
ليست بمحجمة ولست بمحجم
وتلذُّ لي منها الوهاد لذاذتي
بتصعُّد في نجدها وتسنُّم
لم ألْسَ بين كرومها وظلالها
إلا على ثمر هناك محرَّم
فكأنما هي جَنَّة في طيبها
ركَنٌ تسلل من صميم جهنم
أبداً يذكُّرني النعيمُ بقربها
حرمان مزءود[1] وحسرة معدم
وأبيتُ في الفردوس أنعم بالمنى
وكأنني من حسرةٍ لم أنعم

* * *

يا يوم موعدها ستبلغني المنى
وتُتم لي الفردوس خير مُتمَّم
لا غصن رابية تقصُر راحتي
عنه، ولا ثمر يعز على فمي
سأظل أخطر كالغريب بجنتي
حتى أئوب على قدومك، فاقدم
فأبيتُ ثم إذا احتواني أفقها
لم آنهَ عن أمل ولم أتندم

(١) المزءود : المفزع المذعور .

فرحى بصحبك حين تشرق شمسه
فـرح الضـيـاء سـرى لطرفٍ مظلم

* * *

أسعيرتى خلد السماء سماحةً
صونيه من وله صيانةَ مكرم
رفـقًـا بخلدك أن تشوبى صفوه
إن لم ترىْ رفـقًـا بمهجة مغرم

* * *

ضياء على ضياء

على وجنتيه ضياء القمرْ نظيران يستبقان النظر
جمعتهما أنا فى لثمة أو البدر قبَّله فابتدر ؟
فمازال يلحظه جهرة ويغمزه من وراء الشجر
ويزعمها قبلة من أخ ففيم إذن خطفها فى حذر ؟!
ولو شئتُ ظللتُ وجه الحبيـ ـب ولو شئت كللته بالزهر
لكن كرمتُ فخُذ يا قمرْ من الزاد ما تشتهى فى السفر

* * *

سـهـا الليل عنا وعن بدره وهز الحبيب حنين السهر
فقال وقد فاض منه الرضى وشـرَّ بفيض رضاه وسَر
على مثل هذا تطيب الحيا ة ، وفى مثل هذا يروق السمر
فقلت أجل ما أحب الحيا ة ، أنت شفيع لها مُدَّخر
لأجلك يصفو لها من صفا وباسمك يعذرها من عذر

شعر وشعر

أمن شـعـر ؟ نعم ! شـعـرٌ وشـعـرٌ
وخـفـقٌ فى الجـوانح لا يقـر
فـمنى الوزن فى خـفـقـات قلبى
ومنك الوحى والحـسن الأغـر
وتسـألنى كـأنك لست تدرى
ومـالى غـيـر مـا أوحـيتَ سـر
وأحـرى بى سـؤالك عن قـصـيـدى
فـمـا لى فـيـه ـ بل لك أنت ـ أمـر :
أنـنظم فى غـدٍ أم لات نـظـم
على مـا ترتضـيـه ولات نثـر ؟
وعن شـفـتـيك لاشـفـتى أروى
عـشـيـة يلتـقى ثغـر وثغـر
فلقِّنِّى أجـبـك ولا تـسلنى
سـؤال الشـمس هل سيلوح فـجـر[1]

* * *

(١) ليس للشمس أن تسألنا : هل يلوح الفجر ؟ لأن الفجر يطلع حين تطلع هى ، وكذلك الحبيب لاينبغى أن يسأل الشاعر : هل ينظم شعراً ، لأنه ينظمه بوحيه .

الثوب الأزرق

الأزرق الســـاحـــر بالصـــفـــاء
تجـــربةً فى البـــحـــر والســـمـــاء
جـــربهـــا «مـــفـــصِّل» الأشـــيـــاء
لتلبـــســـيـــه بعـــدُ فى الأزياء
مـــجـــوَّد الإتـــقـــان والرواء
مـــا ازدان بالأنجم والضـــيـــاء
ولا بمـــحـــض الـزَّبَـد الوضَّـــاء
زيَّنتـــه بالطلعـــة الغـــراء
ونضـــرة الخـــدين والســـيـــمـــاء
ولمعـــة العـــينين فى اســـتـــحـــيـــاء
إن فـــاتنى تقـــبـــيله فى الماء
وفى جـــمـــال القـــبـــة الزرقـــاء
فلى مـــن الأزرق ذى البـــهـــاء
يخطر فـــيـــه زينة الأحـــيـــاء
مـــقـــبَّلاً مـــبـــتـــسم الأضـــواءِ
مـــردَّد النغـــام والأصـــداءِ
وقـــبـــلةً منه على رضـــاءِ
غنى عـــن الأجـــواءِ والأرجـــاءَ
وعـــن شـــآبيب من الدأمـــاءِ(١)
وعنك يا دنيـــا بلا اســـتـــثناء

(١) الشآبيب : أول مايظهر من الحسن ، وشدة اندفاع كل شىء ، والدأماء : البحر .

يوم

ذهب الليل ودار الملوان [1]
وشدا قبل الصباح الكروان
وتحداه الغُدافيُّ [2] الذى
تبسط الرفق عليه والحنان
ومشى الصبح على مهل كمن
يطرق الدار على غير أمان
وتلمستُ هنا تغريدةً
فى فمى تصدح فى هذا الأوان
قُبلة منك هى الفجر ، وفى
طيها تبدو ثناياها الحسان
عن شمالى كلما ولى دُجى
وسرى فجر ، وحنت شفتان
وتراءت نظرة ناعسة
عند أخرى ، فتلاقت نظرتان

* * *

بأن ليلى ! لاتسلنى كيف بان
أنت تدرى ، فاختصر عنّ البيان
كلما يممتُ دارى قلتَ لى
أجناحان لنا أم قدمان ؟!

(١) الليل والنهار .
(٢) الغراب ـ راجع ما تقدم .

فـــاتيتُ الدار لا أحـــــبـــهـــا
قـــــربت قط ، ودونـي خطـوتـان
لم أكن أطلبـــــهــــا ويحي ولا
أطلب المهـرب منهـا حـيث كـان
لين امـــضى ؟ أين تحـــدوني الخُطا ؟
ضــاقت الدار ، وضـــاق المشـــرقـــان
راعني نقصٌ بعــــــيني ويدي
وفـــمي الصــادي ، وقلبى ، واللســـان
خلّفتني بُدّلت منهـــا غـــيــرها
ولو استـــبـــدلهـــا الخطب لهـــان
أهزيعٌ منك يا ليل مـــــضى ؟
أمـــضى نصف ؟ أمـــا ينشطران ؟
بان ليلى ! لاتسلنى كـــيـف بان
حـــاطك الله من الليل وصـــان
إي وربي بان لك بعـــد مـــا
نفـدت ساعات عمري في ثمـان
لا زمـــانٌ حـــيـــثـمـــا لاقـيــتني
فـــإذا فـــارقـــتني كـــان الزمـــان

* * *

طلع الصـــبح حـــزينًا عـــاطلاً
أثـراه كـــــان بالقـــــرب يُزان
وســـرتْ أنفـــاســـه يا حــســرتا !
أين أنفـــاسك يا زين الحـــســـان ؟

نسمات الصبح أورت [1] كبدى
فحجبت الأنف عنها والعيان
وتمشيت إلى كتبى على
مضض منى ، وللكتب أوان
يا أبا الطيب لاتهرف ويا
صاحبى الرومىّ ما هذا الرطان ؟!
شعراء الشرق والغرب أما
تملكون الصمت يومًا فى عنان ؟!
أو فهاتوا الشعر لى صرفًا بلا
أحرف فى الطرس منه أو معان
أفرغوه جملة فى خاطرى
ليس لى بالطرس والدرس يدان
رُبَّ شعر شاقنى لَمَّا تكدْ
شفتا قائله تنفرجان

* * *

وتجلى الباب لى عن زائر
من أودائى كأنَّا أخوان
فتعلَّمتُ ولبى شارد
كيف يُكسى الود ثوب الشنآن[2]
قال لى : «الأفق جميلٌ» قلت : لا
بل دميم . قال : زاهٍ . قلت : قان !

(١) أورى الزند : أخرج ناره .
(٢) البغض .

قــال : زيدٌ . قلت :حـاشـا . فـانثنى
نحـو عـمـرو . قلت : كـلا . بل فـلان !
فـــمـــضى يعــجب منى ســائلا ؟
أســلام ؟ قلت : بل حـــرب عـــوان

* * *

ذهـب اليـــــوم ومــــا أحلكـه
كــــــان من يوم نماه النَّيــران
لم يكن فى صــــبــــحــــه أو ليله
حظ عين ، أو لســــــان ، أو جنـان
ذاك يومٌ يا حـــبـــيـــبى واحـــدٌ
وغـــــدٌ منه غنىٌ عن بيــــــان

* * *

الحب المثال

كــأنىَ مــثَّــال وحــسنك تمثــالى
عــجـائبُ حب مـا خطرن على بال
فـــمــا أتمنى فـــيك مـــعنى أريده
من الحـــسن إلا وافق الحـــسنُ آمــالى
وأحـلام قلبٍ فـيك تسـرى كـأنهـا
خـوالق أيدى الفن فى الذهب الغـالى
تجـــول بأشكال الخـــيـــال وتنثنى
وقـد أسـعـدت منك العيـان بأشكال

إذا ما تمشّت فيك معنى لمستُها
محاسنَ أعطاف ورقة أوصال
إذا اقترحت عينى فأنت مجيبها
فهل منك أو منى صياغة تمثالى ؟
وما اقترحت إلا كما اقترح المنى
غنىٌ على وفر من الوقت والمال[1]
فما فيك من نقص ولكنما الهوى
نوازعُ شتى لا تقر على حال
فيا قدرة الحب المبارك أبدعى
لكل حبيب فى الصبا ألف سربال
وأجملُ من صوغ الدمى صوغ دمية
لها زينتاها من حياةٍ وإقبال

* * *

ساعى البريد

هل ثَم من جديد   يا ساعى البريد

* * *

لولم يكن خطابى   فى ذلك الوطاب
لم تطو كل باب   يا ساعى البريد

* * *

ما ذلك التنسيق   والجمع والتفريق
والقفز والتحويق   يا ساعى البريد ؟ !

---

(١) إذا كملت نعمة الإنسان تمنى الأمانى التى لا حاجة به إليها . وإنما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل فى الإنسان .

كسوتك الصفراء والخطوة العرجاء
يمشى بها الرجاء يا محنة الجليد

* * *

لو لم تكن جمالا فى مشية العجالى
صغنا لك التمثالا من جوهر فريد

* * *

لا أحسب الساعات فى حاضر وآت
إلا على الميقات : ميقاتك الوئيد

* * *

فى شرفتى أبتكر غيرك لا أنتظر
وإن سعى لى القمر يا ساعى البريد

* * *

كم لهفة نسيتها أماتنى مميتها
لقيتها ! لقيتها يا ساعى البريد

* * *

جددت لى انتظارى وقلة اصطبارى
عن طلعة القطار وطلعة النضيد

* * *

أكرم به من ثمر منتظر مدخر
فى كل يوم مزهر مبتدئ معيد

* * *

يا طائفا بالدور كالقدر المقدور
بالخير والثبور فى ساعة البريد

* * *

فى لحـــة تنتـــشـــر منك المنى والعـــبـــر
وأنت مـــاض تعـــبـــر كـــالكوكب البـــعـــيـــد

* * *

كـن أبـدًا مـــــريـدى بالخـــبـــر الســعـــيـــد
وبابتـــســـام العـــيـــد يا ســـاعى البـــريـد

* * *

عجب الساعى

عـــجـب «الســـاعى» الـذى كنتُ لـه
أبدا فـى شـــرفـــتى منتظرا
إنَّ من تحـــضـــر لى أخـــبـــاره
أيهـــا الســـاعى بخـيـــر . حـــضـــرا
ألق إن شـــئت وطابًا حـــافـــلاً
لا أبـالـى لحظة إن صـــفـــرا
الـطـريـق الآن لا أرقـــبـــه
لأرى وجـــهـك . لـكـن لأرى . . .
ولـك الشكر ، ولـى العـــذر ، فـــلا
تظهـــر الآن . فـــهـــا قـــد ظهـــرا
لا تـذكـــرنـى نـواه بعـــد مـــا
كـنـت تـروى عنـه ذكـــرًا عـطـرا

* * *

الليلة الفطيم

بكت الليلة الفطيم شـــجـــاها
مـــا بكاء الفطيم بين الثـــدىّ
الثـــدىُّ الحـــســـان تبـــغى رضـــاها
مـــا لثـــغـــر الفطيم غـــيـــر رضىٍّ ؟
لـــو أرادت لـــكـــان عـــنـــد مـــنـــاهـــا
كل صـــدر ، وكل نهـــد شـــهىٍّ
أمـــهـــا ! أمـــهـــا ! وليس ســـواها
ذات صـــدر على الشـــفـــاه ندىٍّ

* * *

ليلتى . ليلتى الحـــزينة صـــبـــرًا
لـــيـــس هـــذا الـــفـــطـــام بـــالأبـــدى
ســـوف تُروين من أُمـــيـــمك ثغـــرًا
فـــارضـــعى الآن من دمـــوع الشـــجى
واذرفـى هـــذه المدامع غـــــــزرًا . . .
هل يضـــيـــر البكاء عين الصـــبى؟
من أذاب الشـــقـــاء عـــينيـــه شـــهـــرًا
فى ارتقـــاب النعـــيم غـــيـــر شـــقى

* * *

قبلة بغير تقبيل

بعد شهر - أنلتقى بعد شهر ،
بين جيش من النواظر مَجر ؟ (١)
لم يحولوا - وحقهم - بين روحيـ
ـنا ، وإن ألزموهما طول صبر
تمت القبلة التى نشتهيها
كلها ، غير ضم ثغر لثغر
تم منها شوق ، ورفُّ شفاه
وهوى نيةٍ ، وخفق صدر

* * *

الحلم السالب

سبق الكرى يومَ اللقاء فنلته
فى غفوة تغفى العيون لكى ترى
حلم على اليقظات جار فليته
فى جوره أبدا يعود مكررا
لم يظلم اليقظات فهى إذا وفت
بلقائه ، سلبته من حلم الكرى
ما وعده إلا سعادة حالم
فالنوم كان به أحق وأجدرا

* * *

(١) الجيش المجر : العظيم .

والحلم المنتقم

لما تمليتُ فى الرؤيا مـــحـــاسنه
هتـــفت لليل والظلمـــاء والحلم
هذا انتـــقـام الكرى من بطء مـوعـده
ولـلـكرى ربةٌ مـــــشكورة النِّقم
يغـلو من طيـفـه الساري فـيـمطلنى
كـــأنما قـــال لى بالمطل : لاتنم !

* * *

فى البعد والقرب

لن يطيب البـعـد يومًا لن يطيـبـا
هنْ عليَّ اليـوم إن كنت حـبـيـبـا
لاتـكـن نـارًا مـن الـشـــــوق ولا
دمـعـة حـرى ، ولا قلبًـا كـئـيـبـا
لاتكن صـحـراء فى البـعـد وقـد
كنت لى فى القـرب بسـتـانًا رطيـبـا
إن تغب شـمـسًـا فـأوص النوم بى
قـبل أن تعـرض عنى أو تغـيـبـا

* * *

يا حـبـيي - بل فكن مـا كنت لى
صـانك الله بعـيـدًا وقـريبـا

واجـعل الأنس نصـيـبى فـإذا
غـبت عنى فـاجـعل السـهـد نصـيـبـا
كن نعـيـمًـا وعـذابًا ، ومُنى
تملأ النفس ، وحـرمـانا مـذيبـا
هـكـذا الحب دوالـيك فـمـن
لم يكنه ،لم يكن قط حـبـيـبـا

* * *

قـراءة

على كـتـفى تمشى بعـينيك فى الطرس
عجولا إلى شعرى حريصًا على لمسى
كـأنك لم تحـمـد مـدى الصـوت وحـده
فـسـابقـتـه بالعين حـينًا وبالحس
وعـانقـتنى تستوعب الشعر حيثما
سـرى فى ثنيـات الجـوانح والنفس
هنالك أدرى أن للشـعـر مـجلسًـا
إلى جانب العرش السماوى والكرسى

* * *

تسـلّم

تـسلّم هـذه الـدنيـا كـمـا خلفـتـهـا عندى
وحـاسـبـهـا على قـرب بما تجنى على البـعـد

* * *

تـسلّم هـذه الـشـمـس التى تؤنس أو تهـدى
لقـد كـانت هداها اللـه مكسـالا من المهـد

تجـوب الأفق فى جـهـد　　　ومـا تسـرع بالجـهـد
وكـانت تحـجب الأنو　　　ار أو تُبـدى فـلاتجـدى
وكـانت شـعلة حـرّى　　　من اللوعـة والوجـد

* * *

تسلَّم هذه الأطيـا　　　ر واسـألهـا عن العـهـد
تُغَنّى الآن فـاسـألهـا　　　أغنت قط لى وحـدى ؟
وإن غنَّت فـهـل كـا　　　ن سـوى نوح لهـا مُـغْـد
وإنْ أعـدَت فـهل تُعـدى　　　بغير الشجو والسهد ؟
نعم سلهـا جـزاها اللـ　　　ـه : أين تحـيـة الورد
وأين تحـيـة الإلف　　　وأين تحـيـة الفـرد
لقـد كـانت لحـاها اللـ　　　ـه تطويهـا على عـمـد
فـسلهـا فـيم تطويهـا　　　وفـيم تضن أو تسـدى

* * *

تـسـلَّم أنجم الـليـل　　　بلا عـدٍّ ولا حـد
تسلمـهـا وكـاشـفـهـا　　　بما تخـفى ومـا تبـدى
وسلهـا كـيف ضلتنى　　　ومـا ضلت عن القـصـد
وفـيم تغـامـز منهـا　　　إذا حـيـرنى قـيـدى
نعم قـيـدى الذي فى النـ　　　ـفس لا فى صفحة الجلد
أهزلا تهـمـس الأنجـ　　　ـم أم تهـمس عن جـد ؟!

* * *

تسلَّم زهرك المحـبـو　　　ب فى السـهل وفى النجـد
تـراه ضـاحـك الـعين　　　تـراه نـاضـر الخـد
فـسله مـا عـراه أمـ　　　ـس حـتى لاذ بالرشـد

فـــلا يلهـــو ولا يُوصى　　بخـــيـــر الهم والزهد
فـــمـــا عن لومــه فى ذا　　ك يا مـــولاه من بـد !

* * *

تـسلم هذه الدنيـــــا　　كـمـــا خلقـتـهـا عندى
بحـــمـــد الله تلقــاها　　كـمـا تلقـاك بالحـمـد
فـخـذها راضـيا عنهـا　　وعـــنـــى وعـــن الـــود
وعلمـــهــا إذا مــا عـدت　　ـ لاعـدت إلى البـعـد
أمـــانا فى مـغـيب منـ　　ـك أو فى محـضـر رغـد
فـمـــا تسـمع لى قـولا　　إذا ناجـيـتـهـا وحـدى !

* * *

الفنجان

أتؤمن بالفنجـان ! لا يا صـديقـتى
بثـغـرك لا الفنجـان أصـدق إيمانى
إذا هو أعطانى السـعـادة فلتكن
نبوءتها فى الكأس أوسؤر [1] فنجان
وإن يكن المغـزى هناك خـرافـة
فثغرك صدق فى ابتسام وتبيان
وفى كـوثرى من رضـاب معطر
وفى جـوهرى من ثناياه فـتـان

* * *

---

(١) السؤر : ما يبقى فى الإناء .

قربَى

تقربى لله بالدعاء وأنت قُربَى الأرض للسماء
ليس مكان فى السماء كلها عن شاعر أو عاشق بناء
رب صلاة علمت مُصليا إجابة الصلاة والرجاء
ورفعت من طينة الأرض إلى عرش الضياء سُلَّمَ ارتقاء

* * *

كأس وضوء

هنا - ويا حسن ما ضمت هنا - قدحٌ
تُغوى قلوب العطاشى أىّ إغواء
فى كل قطرة ماء ههنا أثرٌ
من قالب الحسن فى روح وأعضاء
مرت بقدك تحكيه ، وربّما
حكى الوضوء جمال الروح فى الماء
فلو تعود كما لامستها رشفت
مثالك المغتدى فى مهجة الرائى
تطهرت بك لما أن طهرت بها
عند المصلى ، وزادت حسن إيماء
وصافحت منك تقوى الروح فى جسد
يغزو التقاة بأشواق وأهواء
هذى خلاصة إنسان مقدسة
ليست خلاصة أعناب وصهباء

أمخطئ أنا إن أحسست فى كبدى
شوقين من نشوة فيها وإرواء
فكم أغالب من إغراء سكرتها
ما لا يغالبه ظمآن صحراء
تنازع الدين والغى الهيامَ بها
وقربت بين إسعاد وإشقاء
فليت شاربها يدرى أحصته
عند الخضيراء أم عند الحميراء [1]
خوفى - ويا طول خوفى - أن تمزقنى
كلتاهما يوم إحيائى وإحصائى !

* * *

رقية السهر

تجلت آية الكرسـ ـى ، ما أعلاه كرسيا
أظلَّ سباتها عينـ ـىَّ حين لمست عينيا
أترقين من السهـ ـد وما أبغى له رقيا ؟
سروراً بك هجرانى الـ ـكرى المحبوب والرؤيا
دعى الرقية للسهد الذ ى يدعونه نأيا
وللنوم الذى ألقا ك فيه حين لا لقيا

* * *

(١) الخضيراء : كناية عن الجنة الخضراء ، والحميراء : كناية عن جهنم الحمراء .

المنديل

تعاشق لحمة [1] وسدى
ورفرف خافقًا غردا
وآخت طرّتاه [2] يدا
على عهد الهوى ويدا
وقبل النسج كم ساغ الـ
ـصفاء سحابة وندى
وناغى الطيرُ صاحبَه
على شجراته ، وشدا
وعاشت فى الرضى شجرا
ته مخضرة أبدا
فيا منديل لا تبرح
بعهد الحب منعقدا
عريقٌ أنت يا مند
يل روحا فيه أو جسدا
إذا صنت الوديعة لى
فلا بدعًا ولا فندا

---

(١) لحمة الثوب : ما نسج عرضا ، وسداه : ما امتد من خيوطه .

(٢) الطرة : طرف كل شىء وحرفه .

وإن تحفظ أمانتها

حفظتك أنت مجتهدا

سنسأل عن شذاك غدًا

وبعد غد ، وأن بعدا

فصن سرّ السؤال لنا

ولا تخبر به أحدا

* * *

من الكتان يا نسا

ج ، فانسج كل ما خلدا

وعى خلد الفراعـ

ـين ، وزان عروشهم أمدا

ومن يرض الحرير به

بديلا ساء ما اعتقدا

فماذا تنسج الديدا

ن من ذكرى لمن سعدا

وما الديدان والذكرى ؟

ومن ذكر اسمها جمدا ![1]

هو الكتان يا نسا

ج ، فانسج منه منفردا

* * *

(١) الحرير من نسج الديدان ، وهي تذكر الإنسان بالموت والقبر ، فيحمد من يذكرها خلافًا لمن يذكر الكتان ، فإنه يذكر الخضرة والطير والشدو والحياة .

بيــــــــوم كـــــــان للمـنـد
يل قُــــدِّس لُحـــمــــة وســـدى
وقُـــــــدِّس قـــــبله مَـن أنـ
ـبت الكتـــان أو حــصــدا
وقُـــــدس مــــثله من قــــا
م عند النَّول أو قـــعـــدا
وقُـــــــــدِّس كـل مـن نـادى
به فى الســوق ، أو شــهـــدا

* * *

حلم اليقظة

أين مــضى الحلم الذى	كـنـت أراه مــهـتـا
إذا صــحـوت والتـفـ	ـت عن شمالى مَوْهنا[1]

* * *

كنتُ إذا مـــا قطَّعَتْ	نومىَ صحواتُ السهرْ
غبطتُ عينىَّ وأغـضـ	ـت عن النوم النظر

* * *

وكــان عندى حلمًـا	فى يقظة الليل اللذيد
أسمعُ من أنفـاسـه	نسمة فردوس بعيد

* * *

---

(1) الوهن والموهن من الليل بعد منتصفه ، أو بعد ساعة منه .

أســـعـــد مما فى الكرى		من راحـــــة ومن أمل
ومن خـــيـــال لا يحـــدُّ		ومـــعـــانٍ لا تمل

* * *

فـــالآن أبشـــر يا كـــرى!		كل جـــفـــونى الآن لك
حـــتى أعـــود فـــأرى		فى جـــانبى ذاك الملك

* * *

ليلة

بـيـنـى وبـيـنـك لـيـلـة		يا لـيـلـة القـــرب الأمين
يا حـــبـــذا لو تســرعـ		ـين ، وحـــبـــذا لو تطفـــرين
وإذا أتيت فـــحـــبـــذا		لو تلبـــثين فـــتـــخلدين

* * *

عروس الليالى

عـروس الليـالى تهـبط اليـوم من عَلِ
وتدنو على طول النوى والتـــدلل
سَرَت بين شـرقٍ من ضـيـاءٍ ومـغـربٍ
وبين جنوبٍ من ضـيـاء وشـمـأل
كـــأنى أراها من دهور بعـــيـــدة
لطول اشـتـيـاقى وجـهـهَـا وتأملى
فـــيـــا ليلة القـــدر المؤمّل أقـــبلى !
تعـــالىْ أقَـــبِّلْ منك كلّ مـــقـــبّل
خـذى لك جـثـمـانًا يضـمُّك عـاشقٌ
قليلٌ لديه صـــورة المتـــخـــيّل

وتيهى بوجه من صباحك مُشرق
وميلى بفرع من مَسائك مُسبل
سأبديك شعراً يملأ السمع شدوه
إذا ضنت الدنيا بجسم ممثل

* * *

ثرثارة

أراك ثرثارة فى غير سابقة
فهات ما شئت قالا منك أو قِيلا
ما أحسن اللغو من ثغر نقبله
إن زاد لغواً لنا زدناه تقبيلا

* * *

ثروة النصيب

مَنَّيْتنى بالثروة الجلل
وبنيت لى داراً على عجل
وإذا «النصيب» أصابنى احتفلتْ
دارى بحسنك كل محتفل
حسبى إذا عز البناء غدا
فى ساحة بالسهل والجبل
دور تؤسسها وتعمرها
فى ساحتين : الحب والأمل

* * *

قرنفلك

قرنفلك الذى يحكيك حسنًا ... أتعلم أنه يحكيك سمتا [1]
تعمّد لونه فتجنبوه ... على حذر ، ولم تحذره أنتا
له عطر شبيه هواك فرد ... وألوان من الإحساس شتى

* * *

النجوم السواغب

أرى أعينًا قد وصوصت فى سمائها
أتلك النجوم الناظرات سواغب ؟
موائد حب تشتهيها ودونها
مصاعب لا تجتازها وغياهب

نعمت بها فى ليلتى ، وهى فوقنا
تمدُّ لها ألحاظها وتراقب
ومسكينةٌ هذى الكواكب فى الدجى
ومسكينةٌ تلك الورود الشواحب
فهاكِ حلى من سؤر ما أنا شاربٌ
ثمالة كأسى كلها يا كواكب
وخذ يا نسيم الليل عشرين قبلة
وخذ مثلها يا روض إنك غاضب

(١) السمت : الطريق ، وهيئة أهل الخير . (٢) سهم وجهه : عبس وتغير .

غنيٌّ أنا بالحب، عاش الذي به
غنيت، وإني إن غنيت لواهب!

* * *

النيل الغاضب

أَساهمٌ[1] يا نيل؟ لست أدرى! أم ناقم يا نيل طول هجرى
فرب شهر مرَّ بعد شهر وعام سوء بعد عام شر
ولا بشفع زرت أو بوتر

* * *

لاقيتني يانيل والحبيبا كما تلاقى طارقًا غريبا
وزدتنا كيدًا لنا مريبا، أغريت يا نيل بنا الرقيبا
يكاد يحصى سره وسرى

* * *

وكيف يانيل إليك حجى ولم أكن أخاف أو أرجّى
بل كيف يهدينى إليك نهجى وقد هوى نجمى وضل برجى

وعز قربانى ولاح عذرى

* * *

---

(١) ساهم وجهه: عبس وتغير.

ذاك الذى كنتَ معى تراه   غيرى إليك ربما دعاه
فقد هدانى كاهن سواه   إليك يرعانى كما أرعاه
بعد ضلال فى الهوى وخسر

* * *

يا نيل أما الآن فالمزار   عندى له المنسك [1] والشعار
فلايغيب فى الدجى نهار   أو ينجلى عن بدرنا السرار
ألا سرينا لك حين يسرى

* * *

يا نيل فاشغل حولنا العيونا   إذا وردناك مسبحينا
تلك عيون تكره السكونا   ومن يحيون ويسعدونا
لا رضيت عنى ولا عن بدرى

* * *

نجوى النجوم

بحسبى الأنجم الزُّهر   فلا شمسٌ ولا بدر
ترينا عزلة النجوى   ففيها للهوى سر
وفى لمحتها همسٌ   كما يبتسم الثغر
كهمس الشيخ قد سُرَّ   بأحفاد له سرُّوا :
خذوا الدنيا خذوا الدنيا   وغروا العيش واغتروا
دريت الحكمة الكبرى   فأدراكم هو الغر

* * *

(١) مناسك الحج : عباداته ، وشعائره : علاماته ومناسكه أيضاً .

بحسبى الأنجم الزهر … فلا صبحٌ ولا فجر
سواحر تنبئ الأحبا … ب ، والليل لها سفر
رصينٌ صوت نجواها … وديعٌ حولها الدهر
لها ستر وما للشمـ … ـس أو بدر الدجى ستر
لها الشكر فقد سرت … حبيبى ، ولها الفخر !

* * *

كلماتى

كلماتى ! كلماتى ! … صدق الوعد فهاتى
هل معينى وحيك الصا … دق أو وحى اللغات ؟
أنا أستأديك [1] مالم … تبلغيه بأداة
من معان تتعالى … عن لسان ولهاة [2]
فاسألى الأرباب عن تلـ … ـك المعانى الخالدات
أوسلى الصمت فكم صمـ … ـت له علم ثقات
ينتهى شأو الأحاد … يث إليه والرواة
وبه لاذ هداةٌ … عرفوا وحى النجاة

* * *

انظرى يا كلماتى … وأصيخى فى أناة
ما ضياء ثم فى الأفـ … ـق ، وفى كل الجهات
لا من الأرض ولا من … دارة الأفلاك آت

---

(١) استأداه الشىء : طلب منه أداءه .
(٢) اللهاة لحمة مشرفة على الحلق .

لا تراه غــيــر عــينى | وهــو مــلء الــكــائــنــات
هل يرى الدنيــا امــرؤ لم | يرَ منه قــبــســات ؟
كلمــاتى أنت فى وا | د من التــيــه شــتــات [1]
اســألى الأرباب عنه | أو سلى الصــمت وهاتى

* * *

كلمــاتى مــا تقــول | ـين إذن يا كلمــاتى
مــا نعــيمٌ يمنح الكـ | ـف غــذاء المهــجــات
تقــصــر الألبــاب عنه | وهو بعض اللمــســات
فى يدى أدعــوه خــصــرًا | تــارة أو زهــرات
فى فــمى أدعــوه ثغــرًا | تارة أو قــبــلات
وفــؤادى ؟ مــا اسم مــافيـ | ـه إذن يا كــلمــاتى
اســألى الأرباب عنه | أو سلى الصــمت وهاتى

* * *

نشــوات تلك ؟ لا بل | تلك فــوق النشــوات
يــقــظــات تــلــك ؟ لا بــل | تلك غــيــر اليــقظات
بلغت منهــا مــداها | وارتقت مــرتقــعــات
تسلس اليــقظة للوصـ | ـف وتصــغى وتوَاتى
فــإذا جــازت مــداها | لزمت صــمت السبــات
كلمــاتى ! مــا تقــولـ | ـين إذن يا كلمــاتى
اســألى الأرباب عنهــا | أو سلى الصــمت وهاتى

* * *

(١) الشتات المتفرق .

لحظة تمنح قلبى ... كل هاتيك الهبات ؟
لحظة ترفع عمرى ... حقبا متصلات ؟
رب عمر طال بالرفـ ... ـعة لا بالسنوات
لحظة ؟ لا بل خلود ... لاح بين اللحظات
كالسماوات تراها ... من شباك الحلقات
رب أبعاد تجلَّتْ ... من كوى [1] مختلفات
وقطيرات زمان ... ملأت كأس حياة
وإذا ما طغت الكأ ... س فقل فى السكرات !
سكرة تُغشى وأخرى ... تغتلى بالصحوات
هكذا بتنا رفيقـ ... ـين لزيمى لثمات
غائبٌ غاف ، وصاح ... لخفيف الهمسات
كلماتى ، ما تقوليـ ... ـن إذن يا كلماتى
اسألى الأرباب عنا ... أو سلى الصمت وهاتى

* * *

أين أملاكٌ على ... أبراجها المطلعات
تصقل الآفاق فى الليـ ... ـل وتجلو النيرات
لا أرى الدنيا على نو ... ر الليالى الغابرات
أين ؟ لا بل ندع الدنيـ ... ـا وراء الحجرات
نورنا الليلة مصبا ... ح وليد اللمحات
غض جفنيه حياء ... من غضيض النظرات
شفقياً أو فقل إن ... شئت فجرىَّ السمات
عسجدنا بارك حسنًا ... عسجدى البركات

---

(1) جمع كوة ، وهى فتحة فى الحائط .

سبحتْ عيني ونفسي ويدي في غمرات
في كنوز منهما أيٍّ كنوز مغنيات
ثروة أنفق منها لحياتي ومماتي
ولبعثي يوم أن تبعث في الطرس وُصاتي
كلماتي ! ما أراك اليوم إلا خاذلاتي
عنك أغنتني كنوزي وكنوزي ملهماتي

* * *

سمعتني كلماتي واستعادت دعواتي
ثم قالت في حياء كالعذارى الخفرات
باح لي الصمت ولكن فاتني أي فوات
قال ساموك عسيراً في التمني يابناتي
ارجعي ، ثم أعيدي ، ثم عودي صاغيات
مرة أو عشرات وإذا اسطعت مئات
ما بدرس واحد تُو فين هاتيك الصفات
هكذا يا شاعري ألـهمني الصمت فهات
هاتها وافرح بإحسـاني وراقب حسناتي
لايبوح الصمت إلا درجات درجات

* * *

كلماتي ! صدق الصمـت . أجل يا كلماتي
غير أني لا أعيد الأمس إلا بصلاة
مرجع الأمر لمن ضمـت رجائي وشكاتي
يملك العودة من أحيا من الأرض الموات
فابعثي الصمت إليها في خشوع وتقاة
ربما أعطت وإن لم تسألي يا كلماتي

يوم يبحث عن ذكراه

يوم بحثنا عن تاريخه لنحتفل بذكراه ، فإذا اليوم الذى خطر لنا فيه هذا الخاطر هو يوم الذكرى بعينه ، فكانت مصادفة من أعجب المصادفات :

لم يطوه الزمن الماضى ولا احتجبت
في ذمة العام بعد العام سيماه
خلناه فى الغيب منسيا فذكرنا
بنفسه اليومُ فى إلهام نجواه
قمنا لنبحث عنه فى صحائفنا
فكان ميلاده ميعاد ذكراه
يا يوم أول لقيا بيننا عرضت
ثم انطوى عهدها حتى بعثناه
نعم بعثناه فى حب إذا ذهبت
مزية العمر لم تذهب مزاياه
مبارك يومُ عيد فى عواقبه
لم يسهُ عنا وما كنا لننساه
لما بحثنا لنلقاه ونذكره
إذا به باحثًا عنا لنلقاه !
سرٌ من الله فى روحين ما برحا
من قبل لقياهما يرعاهما الله

هبوط النفس

إذا هبطت نفسى فلم تبلغ الذرى
من الحب فارفعها ، وكن أنت عاذرا
فللحب أوجٌ فى العلا قلما ارتقى
بنو الأرض الا مُرتقى منه ناذرا
وددت لو أنى لا أفارق أوجَهُ
ولا أستوى فى الأرض ، لو كنت قادرا
ولكنها حرب مع الدهر لم يزلْ
بها القلبُ مقهورا هناك وقاهرا
فلاتحسب القلب المشرد غاضبًا
ولا عاتبًا ، وأحسَبه أسوان حائرا
وإن تكُ يوما فى الصعود مؤازرى
أكن لك يوما فى الصعود مؤازرا
ولست على مثواى فى الأرض نادما
إذا كنت لى نجما على الأفق سافرا

* * *

سحر السراب

هذ سرابك جنةٌ تُغرى — يا فاتنى بالقرب والذكر
صحراء بُعدك ما خلت أبدًا — من كوثر فى أفقها يجرى
لكنه يغرى وليس به — رىٌ ، وعندك لجة النهر
وإذا السراب خَلتْ كواثره — من مائها لم تخل من سحر
فاقتن بذاك وذاك يجمع لنا — أمن المقيم ، ولهفة السَّفْر [1]

(١) السفر : المسافرون . والمعنى ؛ أن فى البعد سحرا كسحر السراب الذى يغرى بالشوق والأمل ولكنه لايروى ، وأن للقرب فتنة الرى ولكنه لا لهفة فيه ، ومن عرف الفتنة بالسحرين جمع بين أمن الإقامة للقرب ولذة السفر .

عالمنا

في الحب والشعر والإخلاص عالمنا
دعنا من العـــالم الموبوء بالدنس
إذا نظرت حـــوالينا فلستَ ترى
إلا السماوات في مرأى ومُلتمَس

***

هجو

هجوتك في بيتين جهدي فلاتخف
وسلني ، فإني قائل لك بيتين :
أقول رعاك الله إنك محنةٌ
وطول عناء حين تغرب عن عيني
وقلتُ وما أتممتُ بيتين أنني
شقيٌ بما ألقاه منك على البين

***

هجو آخر

هذا الدلال علاما ؟ أكان حتما لزاما ؟!
تغيب عني فيمسي يومي من الدهر عاما
وإن سمحت بقربي قصَّرت لي الأياما
تزهى بهذا ، فهلا خشيت فيه الملاما ؟

***

الوساوس

أنا ســـاهرٌ والليل دامس ويل المحب من الوســـاوس
ومن الغـــد الخـــافى ومـــا من زحـفـه المأمـون حـارس
ومن الـذى بالأمس كـــا ن ، وريبـهُ فى الصـدر هامس
ومن الذى تُخـفــيــه تلـ ـك الأعين الســود النواعس
ترنو إليك وخلفـــهـــا فى القلب سرٌ عنك خانس
ودع الغـــيــاب ومن يجـــا لس فى الغياب ومن يؤانس
ودع الحـــفـــول ومن يُرا قص فى الحفول ومن يلامس
يا لهـــفـــتـــا إن قـــيل لا هِ بينم أو قـــيل عـــابس
هـذا ذاك كـــلاهـمـــا راضٍ بـه قـلـبـى وبـائـس

* * *

لاتـــنـــأ عـــنـــى إن لـــى فـى كـل نـأى ألـف هاجس
هى من شـــيـــاطين الظلا م وأنت مثل الصبح شامس
أشـرق عليـهـا ينصـرف منهـا المسـالم والمشـاكس
لاضـيـر عندى أن تعـيـ ـش إذا انجلى ليل الوسـاوس

* * *

رجاء اللقاء

رجــائى بأن ألقــاك بلدّ وحـــشـــتى
فكيف إذا أمـــســيت أنت مـــؤانسى
أراك فـــتنجـــاب الوســـاوس كلهـــا
وأنت إذا مـــا غـــبت كل وســـاوسى

شكوك العاشق

رأى ابنًا فى الكرى زهقــا   فــهبَّ مــروعــا قلقــا
يضم وليـــده ثقـــة ،   وينسى أنـه وثقـــا
ويخــفق قلبــه فــزعــا ،   ويفــزع كلمــا خــفــقــا
إذا مــا خــاف ذو شــغف   فــذاك المارد انطلقـــا

* * *

كــذاك الشك فى قلبى   إذا مـــا طاف أو طرقـــا
أكــذبه ، ويحـــزننى   كــأن نذيره صــدقــا
فــديتك لاتعــدى الحــز   ن من ذنبى ولا الفــرقــا
فــمــالى بالخــيــال يدٌ   إذا مــا خــال أو خلقــا
يوســوس لى فــأســمــعــه ،   كــذلك كل من عــشــقــا !

* * *

صفقة مغبونة

أرانى فى غـــرامك لا أجـــازى
وإن جـــازيتنى حـــبّـــاً بحب
ألــم يسع الــزمـــان الرحب قلبٌ
وهبـــتكه ، وقلبك غـــيـــر رحب ؟
فكيف وعند قـــربك لى شـــريك
ومـــا لك من شـــريك عند قـــربى ؟
جـــهلت الحب إن أعطيت قُلبـــا
يقـــيم على الوفـــاء ، بنصف قلب

* * *

بـلـدى

أمحل الدهر واطّردْ   لا خميسٌ ولا أحد
لا انتظارٌ لموعد   أو هيامٌ بمن وعد
كل أيامنا تسا   وين فى الوصم والعدد
صبحها مثل ليلها   والشقى أمسها بغد
تنقص العمر كلها   وبها العمر لم يُزد[1]
لم تزد ماضيًا وقد   نقصتْ مقبل الأمد

***

قد رجعنا كما بدأ   نا فما الخوف والكمد ؟
كان لى الحزن موطنًا   فتباعدت ، فابتعد
ثم عدنا فهل ترى   واجدًا خاف ما وجد
بلدى أنت بى أبـ   ـرُّ ، فلا بنتَ يا بلد

***

ميناء قلب

نم قرير العين والنفس فما
لك فى قلبى سوى الحب الطهور
أنا إن لم أكرم الصاحب فى
غيبة ، إنى إذن جِدٌّ كفور

***

أنت مينائى إذا البحر طغى
واكفهر الليل ، واستعصى العبور

---

(١) يوم السعادة الذى يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر ، ولكنه يزيد فى ثروة الماضى ، أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده فى ماضٍ أو حاضر .

هب به بعض صـــخـــور أثرى
أنقض الأســوار حــولى والجســـور
لا وحــبى ! بل قـــمــــاراى إذن
أننى أعــرف هاتيك الصــخــور
فـــإذا جـــاوزتهـــا جـــاوزتهـــا
غــافـراً مــا شــئت ، والحب غــفـور
بل أرانى شــــاكـــراً لا غـــافــراً
وشـــبـيـــهـــان غـــفـــورٌ وشكور

* * *

يا قــــريــر العين والخــــاطر يا
أكــرم الأحــبــاب فى الدنيــا الغــرور
لاتخف فى الغـــد شـــراً من أخ
وَدَّ لَوْ ينجــيك من مــاضى الشــرور
فـى أمــــــان أنـت مـنـى وأنـا
فـى أمــــان منـك ، والـدهـر يـدور
أنـا أدرى بـك مـن نـفـــــسـك يـا
طاهر النيـــــة فى كـل الأمـــــور
إنمـــا تـــخـــطـــئ مـــن حـــب إذا
أخطأ الإنســـــان من غـش وزور
ويح قلبى أنا إن أحـــزنت مـن
هو فى الحب على الحــزن صـبــور
كــمــا قـــســا منى وكم جــار الـهـوى
والـهـــوى منـك رحـــيم لايجـــور

لك من عطف شفيع دائم
وشفيعى عندك الوجد الثؤر
نم قرير العين والخاطر لا
قر ذو ضغن ولا نام غيور
خلِّ جهل الناس فى ظلمائه
واجل لى حبك نوراً فوق نور

* * *

فوق الحب

صاحبى من سروره وسرورى
فى صفاء الزمان يلتقيان
وصديقى من استجد سرورا
من سرورى ، وإن تناءى مكانى
وحبيبى مَن قلبه كيفما كا
ن ، وقلبى فى الشجو يستويان
فالذى يرتضى العذاب لأرضَى
كيف أدعوه ؟ ما اسمه فى البيان ؟
ذاك فوق الحبيب إن كان فوق الحـ
ـب شىء يُرجى من الإنسان
ذاك فيه من صبغة الله سرٌّ
جلَّ عن صبغة الوجود الفانى

* * *

سريان روح

لاتسلنى مـــتــعبٌ أنت فــمـــا
تتــعب الأرواح فى عُليــا الســمــاء
بــجــنــاحــين مــن الحــب ومــن
حــسنك الخــافق ، ينقــاد الفــضــاء
طـرت لا أشـكـو المـدى مـن تـعـب
حين صـاحـبـتك فى ذاك المســاء
لــم أكــن ألمــس أرضـــًا إنمــا
كنت أسـرى حين أمـشى فى ضـيـاء

***

توكيد

أحــدث نفــسى بالفــراق وأخــشــاه
كــمــا تقــذف الأم الوليــد لتلقــاه (١)
هو الشىء لاتدرى بـفـــرط وجـــوده
ولاحـــبـــه إلا إذا غـــاب مـــرآه

***

جواز الحياة

قالت : جوازك ؟ قلت : هاك ! ... حب أنـال بـه رضـــــاك
فــدخلت فى خــدر الحـيــا ... ة وراء ألفــاف الشــبــاك
أبرز جـــوازك تقـــتـــسم ... دار الحـيــاة على اشــتـراك
أو لا فـــأنت ببـــابهـــا ... أبـدا تحـــوم بلا فـكـاك

---

(١) الأم إذا قذفت بابنها فى الهواء ثم تلقفته شعرت بالخطر عليه ، ثم شعرت به بين يديها فكان فى ذلك توكيد وجوده ومضاعفة السرور بالأمن عليه .

الخرافة الصادقة

دعنى أثوب إلى العــراف أســأله
فــالحب علمنى صــدق الأســاطيــر
جــلا عــجــائب دنيــا لانظيــر لهــا
فى زعم مــخــتلق أو وهم مـــســـحــور
فــإن أبتُ مــؤمنًا بالســحــر لاعــجب
هذا هو الســحــر فى حــسى وتفكيــرى

***

علم الحب

إذا ســاءت الدنيــا فــفى الحبِ مــهــرب
وتحــسن دنيــا من أحــاط به الحب
فبــالحب تدرى الحــسن والقــبح عندها
وفى الحب علم لاتعلّمـــــه الكتب

***

الثوب الرشيد

فــرحـــات قلبك بالجــديد ... من فــرحة الطفل الســعــيد
أخــجلت بالثــوب الرشــيـ ... ـق وأنت صاحبه الفــريد ؟
هو لايعـــاد فـــمـــا لقــدٌ ... ك من مــعــيــد فى القــدود
خلّ الحـــيـــاء لمن يلو ... مك واحلُ أنت كـمـا تريد
أولى بالاســتــحــيــاء من ... عــذل الجــمــال على المزيد
كل الثـــيـــاب لمن يز ... ين ثيــابه عفٌ حــمــيــد
فــافــرح بحلتك الجــمــيـ ... ـلة فــالجــميل هو الرشيــد

لو ترتدى ثوب الوقـــا ر وهيـبـة العـمـر المديد
للبـسـتـهـا فـرحـا بهـا كـالطفل فى الزى الجـديد

***

عمر شعر

شعرى القديم عشقته وحفظته وحييت فيه حقيقة وخيالا
وجديد شعرى إن نظمت فإنما لك بت أنظمه ، وفيك توالى
فكأنَّ حبى كان عندك كله رهناً بحسنك مبدأ ومآلا
فاحرص على قلب أباحك ماضياً منه وحاضره والاستقبالا

***

الحياء فى الحب

صن من حيائك مايذكرنا على
طول التآلف أننا جسمان
واخلع حياءك يوم ينسى أننا
قلبٌ تفرَّد ماله من ثان
الحب أجمع حين تعلم سره
فى ذلك التذكار والنسيان
قلبٌ يرفرف فى جوار قرينه
لا القلب مبتعد ، ولا هو فان
متفرقين لبعضها ، فإذا التقى
حظاهما فسروره ضعفان
ويلذ بالثمر الجديد كلاهما
كالحور تحت عرائش الرضوان

عتـــاب

أيهـــــا المانع الرســــائل عنيٍ
هل يكون الوفــاءُ كُــتــبًــا بكتب
هب ردودى أبطأن عنك فـــقل لى
من أقـــال البـــريد من كل ذنب؟!
لا التـحـدى ، ولا التـشـاغل ، يُرضى
من حـــبـيـب مــعــاتب ، أو مــحب
ضــــامنٌ أنت إن تسلفت عــــذرى
حــسن ظن بالود أو ، حـــسن عــتب

***

لقاء شجى

هل عــــجب فى الحب برح الأسى
بعـد ابتــهـاجى بلقــاء الحــبـيب؟
هاتيك نفسى استجـمعت نفسـها
فــابسط لهـا عــذر اللبــيب الأريب
لاتجـــــمع الأنفس أجـــــزاءها
مــابين نابٍ حــولهـا أو مــجـيب
إلا أطـالـت نـظـرات لـهـــــــا
فــيـمـا بدا منهـا وفــيـمـا يغـيب
يا رحـــمـــة للقلب من نشـــوة
يشـابه النشـوان فــيـهـا الكئـيب

***

مولد

أو نشوء وارتقاء

زانك الله بصفو ... وسلام يا شتاء
طال بى فكر الليالى ... أو ما فيك عزاء ؟

* * *

قال لى : هاك فخذها ... زهرة منى إليك
ذات حسن وحياء ... ولها فضل لديك
وسمت بالفكر [1] فاقبس ... فكرة فى راحتيك
قلت حقاً يا شتاء ... هى حسن وجياء
غير أنى ، وهى صمت ، ... ليس لى فيها عزاء

* * *

قال يرضيك إذن شا ... دٍ من الطير مُجيد
هو للجنة [2] يُدعى ... وله منها نشيد
يعشق النيل وإن لم ... يك فيه بوليد
قلت حقاً يا شتاء ... هو حسن وغناء
غير أنى ، وهو صوتٌ ... ليس لى فيه عزاء

* * *

قال يرضيك إذن سا ... رٍ من البرق بشير
يصدع الظلماء ، يزجى ... عارض الغيث ، ينير
فيه من قلبك نبض ... ومن اللمح سمير
قلت دعنى يا شتاء ... من شعاع فى فضاء
إئذا جاد بغيث ... كان لى فيه عزاء

* * *

---

(١) المقصود - كما يظهر من هذا الوصف - زهرة الثالوث المشهورة بزهرة البنسيه ، وهى كلمة ترادف بالفرنسية كلمة «الفكرة» ، وتظهر هذه الزهرة فى الشتاء . (٢) عصفور الجنة .

قال : والشمس؟ فما ظنـ … ـك بالشمس ذكاء [1]
كلما عادت بها سبـ … ـح عشاق السماء
فيك منها لمحة … ـحرى وطهر وضياء
قلت حقاً يا شتاء … هى نور ورجاء
غير أنى ، وهى صبح ، … ما عزائى فى المساء ؟

* * *

قال لى أنفدتُ كنزى … كله بين يديك
غير ذخر من بنى الإنسـ … ـان أبقيه عليك
فيه من صبح ومن ليـ … ـل قصارى غايتيك
أتراه ؟ قلت حقاً … هو فى الدنيا العزاء
هو حبٌ وحياة … وربيع يا شتاء

* * *

من بنى الإنسان فى ذ … ات شتاء وُلدا
زينة للعين والـ … ـب وللقلب بدا
طاهر كالمزنة البيضا … ءِ صافٍ كالندى
كبنات الروض مفتـ … ـنٌ الحلى جمّ الحياء
وارف كالظل مُحيٍ … فى شذاه كالهواء

* * *

يا شتائى فيم إخفا … ؤك ذاك السرّ عنى
أى روض ؟ أى برق ؟ … أى شمس فيك أعنى ؟
أنا مستغنٍ به عنـ … ـها فماذا عنه يُغنى ؟
قد تعلمتَ وأتقنـ … ـتَ أفانين السخاء

---

(١) فى أساطير الأقدمين : أن الشمس تولد مرة فى أوائل الشتاء .

منذ عشرين وخمس		من سنى الدهر سواء

* * *

لم عندى كل ما تعـ		ـطى إذا تم العطاء
وجميلٌ كل بدء		ينتهى خير انتهاء
وجميل زهرك النا		مى على هذا النماء
صدق العلم وقال الحـ		ـب حقاً يا شقاء
سنة الزهر نشوءٌ		فى المعانى وارتقاء

* * *

إساءة مشكورة

إليك منى الشكر حتى على
إساءة اللقيا غداة السفر
أغضبتنى منك فأنجيتنى
من لوعة الهجر وطول السهر
إذا التوى الصبر على عاشق
تعرَّض العتب له فاصطبر
ما ذاكر اللجة ريَّاً له
كذاكر اللجة فيها الخطر
ولهفة الظامئ ترياقها
أن ينظر الغصة فيما انتظر

* * *

عروس الشعر

فى البعد

عروس شعرى أجيدى		فى البعد نظم القصيد
فيم السكوت ؟ أما من		وحى ؟ أما من نشيد ؟

أوحْيُ ثغــر لثـــغـــر　　أولا صــدى من بعـيــد ؟!
أمــا ســمــعت ببــرق　　مــســتــحــدث أو بريد ؟
وناقبل مـن أثـيـــــر　　وسكة من حــــديد
بُشْــرى إذن ألف بشــرى　　بيــوم قــرب ســعــيــد
إلـــى المـــزاهـــر هُــزِّى　　أوتارها من جـــديد
ورنِّمى واســتـــعـــدى　　ورتلى واســتـــعـــيـــدى

* * *

صنوف حب

عـــــرفت من الحب أشكالـه
وصاحـبت بعـد الجـمـال الجـمـال
فـــحـبَّ المصـــور تمثـــالـه
عـرفتُ! وحب الشـبـاب الخـيـال

* * *

وحب القـــداســـة لم أعـــدُه
وحب التـــصـــوف لم يعـــدُنى
وفـــى كـــل حـــب ورَى زنـــده
ســمـــاتٌ من المؤمن الـديِّن

* * *

وحب المزخـــرف والمنتــــقى
وحـب المجـــرد والعــــاطل
وحب الجـــمـــاح ، وحب التـــقى
وحـب المجـــدد والنـــاقـل

* * *

وحب الشــقــاة وحب الصــحــا
ب ، وحب الطبــيــعــة فى حــسنهــا
وحب الــرجـــاء وحــب الــعـــذا
ب ، على يأس نفــسى من حــزنهــا

* * *

وحب التى علمـــتنى الهـــوى
وحب التى أنا علمـــتــــهـــا
ومن أســـتــمــد لديهـــا القــوى
ومن بالقـــوى أنا أمـــددتهـــا

* * *

وحب الجــيـــاع صــحــاف الطعــا
م ، وحب الظمــاء كــئـوس الشـراب
وحــب الــكــفـــاح وحــب الســـلا
م ، وحب الضـــلال وحب الصـــواب

* * *

صنـوف مـن الحـب لاتـلـتــــقـى
وفــيك التــقى لبُــهــا المحــتــوى
فـلولا هـدى نـورهـا الأســـــبـق
لما كنت كــفــؤًا لهـــذا الهـــوى

صفات وتأملات

ليالى رأس البر

مناظر من سـحـر الجـمـال أراها
ولـولا سـنـاهـا قـلـت كـنـت أراهـا
تلوح كـذكـرى حـالم يسـتـعـيـدها
لعـمق مـعـانيـهـا ، وبعـد مـداها
فـمن عـالم النسـيـان فـيـهـا مـشـابهٌ
وفـيـهـا من السلوىٍ جـمـيل رضـاها
ليــال برأس البــر تَنْدَى وداعــةً
ورقـــة أشــجـــان ، وطاب نداها
وداعــة ذات الـدّل شـاب فــؤادها
شـوائب من هجـر ، فـراض صـبـاها

* * *

ليــالٍ برأس البــر طاب نداها
وشـفت دياجـيــهـا ورق سناها
هنا النيل سـاجٍ طال فى الدهر سيـره
وطالت مـرامى نبـعـه فـسـلاها
هنا البـحـر ثوار الدهور على الكرى
ويطغى فـلايحـمى النفـوس كـراها
إذا اسـتـرسلت أصـداؤه فى اطِّرادها
ترسلت الأحـلام ملء مناها
هنا عـالم السلوى ، هنا العـالم الذى
تحس الليـالى فـيـه همس خطاها
هنا العـالم المشـهـود ذكـرى قـديمةً
وذكـراك دنيـا لاتزال تراها

فلولا حياتى فى عروقى أحسها
لقلت نعيم الغابرين طواها

* * *

جمالك - رأس البر - فى زى ناسك
إذا ضاحك العين الضحوك شجاها
لياليك - رأس البر - فى صومعاتها
مناسك ضلت فى الظلام هداها
صحابك - رأس البر - أطياف نائم
تساوى لديها صبحها ودجاها
عناها الذى يعنى النيام من الرؤى
ولم أر جهداً فى الحياة عناها
حياتك - رأس البر - طفل مجدد
سقته ثدىُّ الخالدات جناها
فلا تحرمينا رشفة الخلد كلما
فنينا ، وكم تُفنى الجسوم نُهاها
بحسبىَ من أبناء آدم إن صفا
لنا العيش يومًا ، إن تكفَّ أذاها

شرفة مصر
فى رأس البر

ينتهى البر ههنا … أو هنا البدء أولا
نحن فى باب شرفة … إن تكن مصر منزلا
نترك الأرض خلفنا … ونرى البحر مقبلا

كـــالذى يهـــجـــر الديا ر إذا ارتاض واخـــــتلى
مـــصـــــر من خلفنا ولا مــصـــر من صوبنا ولا . .
حـــبــذا «الرأس» شــرفـــة ومــــصـــيــفـــاً ومـــوئلا
فـــرجـــة النفس كلمـــا عـــــافت الأرض والملا

* * *

خبر الربيع

يأيهـــا الورق المخـــضـــرُّ فى شـــجـــر
عــهدى ومــا فيــه من ذى خــضــرةٍ أثر
من أين أقبلت ؟ بل من أين أقبل فى
عـــيــدانك العــوج ذاك العطر والزَّهر
أنا ســـألنا ، ولو جـــاد الســـؤال إلى
فحوى الضمـائر لم نعرفـه يا شـجـر
سلنا بحـقك من أين اسـتـجـدَّ لنا
هذا الســرور الذى فى القلب ينتـشـر
كـــلاهمـــا طارقٌ طاف الربيع به
على براق من الأنوار ينحـــــدر
سلهُ فـإن لم يُجب فـانعم بمقـدمـه
وافـــرحِ به ، وانتظره حين ينتظر
إذا أجـــاب بأزهار مـــفـــتَّـــحـــة
وبالســرور ، فـحـســبى تلك الخــبـر

* * *

الوجود!

لاتنازع الوجود

ليس السر الأكبر هو تنازع الوجود ، بل السر الأكبر هو الوجود نفسه كيف كان وما الذى يبعث إلى التنازع فيه ؟ فتعليل أطوار الحياة بالتنازع تعليل بشىء يحتاج هو نفسه إلى التعليل ، وأنت لاتعطينى الكنز إذا وصفت لى صراع الطامعين فيه ، وكذلك لاتعرّفنى سر الحياة وكنزها المخبوء إذا وصفت لى تنازع البقاء :

«نزاع بقاء» فصّلوه وعددوا
ورامـوا به سر الوجـود فأبعدوا
أيوجد مخلوق ليحمى نفسه
من الخلق ؟ أم يبغى الحمى حين يوجد ؟
هو السر كل السر أنك كائنٌ
وأنك تبغى الكون [١] والكون مُجهد
فلا تُحص ألوان النزاع فإنما
هنا السر والكنز الذى عنك يوصد
أمعطىَّ كنزاً إن عرضت لناظرى
صراعًا على أعتابه يتجدد ؟

* * *

تجربتى

تجربتى ! أين أنت تجربتى ؟
يا كتبى . أين أنت يا كتبى ؟ !

---

(١) الكون : مصدر كان ، وهو الوجود.

لم تمنعى دمـــعـــة تؤجــجــهـــا
في القلب نار العـــذاب والغـــضب
إليك عنى ! فلست مـــانعـــة
حـــزنى ، وقـــد تمنعـــيننى طربى
وقـــد تشـــوبين لى الصـــفـــاء ومـــا
تُصـفين عـيـشى من كـدرة الريب
لهـــفى على غـــرة أعـــيش بهـــا
غـفلان ، والفاجعات عن كثب (١)
لهـــفى على جُنة أهيم بهـــا
مـقـهـقـهًـا بين فـادح النوَب

* * *

قربان القرابين

مـــافى القـــرابين ولا الأعـــيـــاد
أبرُّ فـى اللـب وفـى الفـــــؤاد
من يوم حبٍّ بالحـــيـــاة شـــاد
مـــدخـــر منتظر الميـــعـــاد
تبـــذله للمـــوت والحـــداد
رعـــيًـــا لمن باتوا على وســـاد
من الثـرى فى غـيـر مـا رقـاد
وقطعـــوا فى القـــبـــر كل زاد

* * *

(١) عن قرب .

الفن الحى

أو الحياة الفنية

خـذ من الجـسم كل مـعنى ، وجـسِّم
من مـعـانى النفـوس مـا كـان بكرا
حـبذا العـيش يبدع الفكر جـسـما
نجـتليـه ، ويبـدع الجـسم فكرا
ويرى الفن كـالحـيـاة حـيـاة
ويرى للحـيـاة فنّاً وشـعـرا
ضلَّ من يفـصل الحـيـاتين جـهـلا
واهتـدى من حـوى الحـيـاتين طرا

* * *

عمر السعادة

إن السـعادة هى الكفاية ! والاكتفاء بدء التحول والاستغناء ، فكأنما السعادة تغرينا بالتحول عنها حين نملكها . . . فإن لم تُغرنا بذلك فهى كالنور الذى ينبسط على الحياة فيرينا منها أخفى العيوب ، فتخلق لنا أسبابًا كثيرة للنفور من الدنيا بعد أن كانت تلك الأسباب خافية علينا ، إذ نحن نريد الدنيا أبدًا رفيعة جميلة كما صورتها لنا السعادة ، ولو لم تصورها لنا على ذلك المثال لقنعنا من الدنيا بالقليل :

ثق بالرهان على عـمـر الزجـاج ولا

تثق بعـمـر سـعـيـد طال أو قـصـرا

لعل أسـعـد حيٍّ أنت مُـصـبـحـه

يموت قـبـل نزول الليل منتـحـرا

وفي السـعـادة ما يُغري بفـرقـتـهـا ،

إن الكـفـايـة تكفي من رأى ودرى

وربما شـوهـت دنيـاك أجـمـعـهـا

إذا رأيت بهـا عـيـبًـا ، وإن صـغـرا

* * *

العـراف

من عـهـود مـجـهـولة وديار

هي أخـفى من عـمـره مـسـتـقـرا

حـمـل اللحـمـة التي تنسج الد

هر ، وتبـديه للنواظر شـعـرا

هو غـيـبٌ فكيف لا يعلم الغـيـ

ـب ، ودهر فكيف يجـهـل دهرا

خلفـه للزمـان سـر ، فـهل يطو

ي غـدٌ من أمـام عـيـنيـه سـرا ؟

في خـفـايا المجـهـول عـاش فـسله

عن خـفـايا المجـهـول ينبـئك جـهـرا

* * *

التقديس

عاوف التقديس روحيٌّ ،وإن قدس جسما
ومهين الجسم جسميٌّ ، وإن كان «بَرْهما»
أنت بالتقديس تسمو لا بما قدستَ تُسمى
وهي الأعين لا النور التي تجلو ، وتعمى

* * *

يوم شتاء

يوم بيت لا يوم خوض الدياجي
فانج ما بين صفحة وسراج
وجمال من النفوس يُناجي
في أسارير وجهه ويناجي
مستهلين والطبيعة غضبى
وكلانا من هولها الصعب ناج
نتحدى الرياح والليل والأهو
ال طراً بصفحة من زجاج !
فإذا ما يروع منها ويضني
نتلقاه هاهنا بابتهاج
كالذي يشهد الكوارث فنّاً
من فنون التمثيل والإخراج

* * *

السرور

منع السرور حذار قلبي قبله
إن لا يتم ، ويصله التنغيصا

ويزيدنى كلفا به وضنانة
ألا يباح - إذا أبيح - رخيصا

* * *

القديس

إن يجهل الناس ما القديس فى خلق
فأنت وحدك ؛ قديس السماوات
لامانح الخير كل الخلق تحمده
أو مانح الخير مجزّياً بجنات
أو مانح الخير يرويه ويرسله
فى حاضر من سواد الناس أو آت
منحت خيرك تأبى أن يذاع ، وقد
تخشى عقوبته فى يوم ميقات
منحته من سخاء لاجزاء له
إلا مسرة وهّاب المسرات
تلك القداسة حقًا لاقداسة من
يزدان بالعرف فى سمت وإخبات[1]
تلك القداسة من نور وإن سُترت
كأنها الذنب فى ليل الخطيئات

* * *

نسختان !

خذ من رجائك نسختين ولاتصن
أبدا رجاءك فى كتاب[2] واحد

(١) الإخبات هو التخشع . (٢) الكتاب هنا بمعنى الرسالة أو المكتوب ، أو «الخطاب» .

فإذا الْتَوتْ إحداهما عن قصدها
لم تخطئ الأخرى سبيل القاصد

* * *

العزاء جملة

غنيتُ عن العزاء، وهل عزاء
لمن قبل المصاب رأى المصابا
تسلفتُ الفجائع فى ارتقاب
وحسبى أن أهوِّنها ارتقابا
لقد هانت خطوبى حين باتت
حياتى كلها خطبًا عُجابا
فإن شئتم فعزوا فى حياتى
مجازفة، ولاتحصوا الحسابا

* * *

مناجاة الدنيا

يقول الحى : إن كانت غاية الحياة موت فالدنيا هى الخاسرة، والحى لايشعر بخسارة فقد الحياة .

وتقول الدنيا : إن حيّاً يجىء يغنيها عن حى يروح، وبذلك تبقى ينابيع الحياة، فلا خسارة عليها .

ويقول صوت خالد لاهو صوت الأحياء ولاهو صوت الدنيا : إن الفناء يصيب الدنيا كما يصيب الأحياء، فليس هناك عنصر مكتوب له أن يُفنى أبدًا أو يَفنى أبدًا، وإنما كل كائن له دور فى الإفناء ودور فى الفناء :

إن تكن غايةُ سعى الحى موتٌ فيـك يا دنيا فأنت الخاسرة
أو يكن بعد فناء الميْت عيشٌ فيـك يا دنيا فأنت العامرة
نحن إن عدنا إليك الخاسرون

* * *

فأنت الدنيا : بحىٍّ بعد حى أنـــا أستبقى ينابيع الحياة
فامكثوا فىَّ نفوسًا أو تـــرابًا ما على الحالين عندى من شكاة
إن ذهبتم فكما كنت أكون

* * *

قال صوت ليس بالدنيا ولا هــو بالنـــاس ولا غيرهما
فيه منها ثم منهم أثـــرٌ ثـم من شىء سرى بينهما
كلُّنا نحن حــيــاة ومنون
كلنا يفنى ويُفنى ويصـــون
كلنا مفترقون . كلنا متحدون !

* * *

متفرقات

إلى الأستاذ مكرم [1]

يا من أسى جرح مصر فى ضمائرها
جراحُ جسمك تأسو مصر شكواها
إذا شكا مكرمٌ فدَّته أمته
كما رعاها وحياها وفدّاها
الله والنيل قد صانا وقد عرفا
من ليس يعرف إلا النيل والله

* * *

تهنئة

ولدى فى البيان والأدب ... تلك قبرى من أكرم القُرب
كن أبًا واستمع نداءك من ... كل نجل بذلك اللقب
فإذا حفَّك البنون بما ... شئت من بهجة ومن لعب
وإذا ما بلغت فى عقب ... فوق ما قد بلغت فى نسب
وإذا ما ارتقيت فى رتب ... أبدًا ترتقى إلى رتب
كان لى الفخر أن دعوتك يا ... ولدى ، أو دعوتنى بأبى
إنَّ فى حافظ [1] لمفخرة ... لذويهِ وصحبه النجب

* * *

تقريظ

لك شعر يحكي سريرة نفس
رُكِّبَتْ من صراحة ونقاء

(١) وجهت إلى الأستاذ النابغة : «مكرم عبيد» حين إجراء العملية الجراحية فى المستشفى القبطى .
(٢) قيلت فى تهنئة الأديب : «المهذب حافظ جلال» بخطبته .

جُـبلتْ كـالفـراش فى أمـة الطـ
ـيـر خـفـوقًـا بين الندى والضـيـاء
واسـتـوت فى الحـيـاة فـوق جناح
مـسـتطار الخطى رقـيق الغـشـاء
فـتـعـهّـدْ حـدائق الشـعـر والبسِ
حلل الروض ، واطْلع فى السـمـاء
وانشـد النور فى جـوائك واطلب
بعـدها الشـمس فى رحـيب الفـضـاء
أنت يا طاهر (١) الفـؤاد جـديـر
من مـحـبـيك بالرضـا والثناء
لك يومٌ مـوفٍ بأجـمـل سـعيٍ
وغَـدٌ مـقـبلٌ بخـيـر رجـاء
* * *

أسوديلتحى

أليس كـفـى هذا السـوادُ فـزدتَه
سـواد غـراب فى لحـاك مـعلق ؟
سـريت برأس لاحـدود لوجـهـه
فـمـازال فـيـه الليل بالليل يلتـقى
ألا فـانتظر حـتى تشيب فـقـد ترى
سـوادك مـحـفـوفًـا بأبيض مـشـرق
وأخلقُ أن يرتـادك الشـيـب حـالكا
على حـالك ، لو كـان يجـرى بمنطق

---

(١) هو الشاعر الأديب : « طاهر الجبلاوى » ، والأبيات نظمت فى تقريظ ديوانه : «ملتقى العبرات» .

نبوءة[1] أو وسواس

يا نبيِّى العزيز ! أنت نبىٌّ ... غلبته وساوس الشيطان !
غلبته الشكوك لا عن بيان ... ناطق بالهدى ، ولا برهان
موجسًا من خيانة فى ثنايا الغـ ... ـيب ، والغيبُ صارم الكتمان
دلَّه حدسه عليها وما دلَّ ... على موضع لها أو زمان
أو على آثم جناها وأخفى ... سرها عن رقيبه اليقظان
قل لنا السر كله يا نبيِّى ... أو فها نحن فى الهوى سيان
أعرف الناس خائنين فهلاَّ ... زدت شيئًا علىَّ فى العرفان
يا نبيِّى ، فاشرح لنا أنت ما قد ... كان ، لا ما يكون فى الإمكان

* * *

البيلا[2]

البيلا . البيلا . البيلا ... ما أحلى «صُلب البيلا»

* * *

هاتوا البيلا واسقونى ... هاتوا البيلا . داوونى
الطب «ودينى» يوصينى ... بالبيلا ، تحيا البيلا!
البيلا . البيلا . البيلا ... ما أحلى البنت البيلا !

* * *

(١) تنبأ أحد المصدقين بقراءة الأفكار من بعد أن هناك خيانة ستقع دون تعيين المكان وشخص الخائن ، والشاعر يقول فى هذه القصيدة : إن هذه النبوءة لا تعدو القول بأن الخيانة موجودة فى الناس ، وهذا شىء نشترك فى علمه أجمعين .

(٢) البيلا : أى البيرة . . والقصيدة منظومة فى طفل صغير تعبت معدته فوصف له الطبيب مقدارا قليلا جدا من البيرة يشربه بين حين وآخر ، فألف الطفل البيرة واستطابها وأصبح يهش لها ويؤثرها على الحلوى والفاكهة . وفى القصيدة تمثيل له على هذه الحالة يجمع نقيضى أمره . فهو يتكلم تارة كأنه رجل كبير وتارة كأنه طفل صغير .

مــالى وســا للشكولاتا		تمــشــى لــى تــاتــا تــاتــا
بطلٌ مــثلى هيــهــاتــا		بالحلوى ينسى البــيــلا
البيــلا . البــيــلا . البــيــلا		أبدا لا أنسى البــيــلا

* * *

يوم رضــاعى خــدعــونى		بالــبــيــلا لم يروونى
من ثديى لاتســقــونى		اسـقــونى ، اسـقــونى البيلا
البــيــلا . البــيــلا . البــيــلا		هاتوا لى كــأس البــيــلا

* * *

اخطف كــأسى بالكفين		خطف المفطوم الثــديــين
إن أغــمض عــينيــه الثنتين		فــتــحت عــينى البــيــلا
البيــلا . البــيــلا . البــيــلا		«نور العــيــنين» البــيــلا

* * *

بالبــيــلا كنت حكيــمــا		أرضى بالمر عليــمــا
طمــعــا فى الصــبر وفــيــمــا		يحلو من وعــد البــيــلا
البــيــلا . البــيــلا . البــيــلا		مــا أحلى وعــد البــيــلا

* * *

قــالوا الســكران الـعــربيــد !		عــربيــدٌ أنا بالتــأكــيــد
أرقص ، وأغني ، وأجــيــد		فى ســاعــة «سلب البيلا»
البــيــلا . البــيــلا . البــيــلا		غنوا فى نخب البــيــلا

* * *

لقــبى فى صــحــبى «همّــا»		ظلمــونى فى اســمى ظلمــا
إن نادوا البــيــلا يومــا		أغلط فى اسـمى والبــيــلا
يحــيــا «هِمّــا» والبــيــلا		البــيــلا . البــيــلا . البــيــلا

هجاء

هجاء الدهر

أباسمٌ تُغني ؟ لُعنتَ شرٌ لعن
وإن عداك المثنى خذ الثناءَ مني
يادهر وامض عني

* * *

كن عابسًا قطوبا أو ضاحكًا طروبا
ما أشبه الموهوبا عندك والمسلوبا
إليك ! دعني دعني

* * *

ما أقبح اللئيما مبتسما كظيما
أدنى اليه سيما أن يُبتلى دميما
يعوى ولا يُغنِّى

* * *

أمانحي السرورا ؟ خذه و بن مدحورا
لولم أكن موتورا أشكو الأذى المقدورا
ما شاقني بحسن

* * *

أين الجمال أينا ؟ كلٌ الجمال منَّا
إن شئت لا إن شئنا فقرٌ أنت عينا
وخلّنا فى أمن !

خنزير أعجف!

فــيـــه خنـزيرية ظاهـرة ما نفـاها عنه ذاك العـجف
هو خنـزير ولـكن شــأنه جـسـدٌ فى وضـعـه منحـرف

اللؤم خالد

يا عـصبـة اللؤم مـهـلا بعضَ غـيـرتكم
فـــاللؤم لا ينـقـــضـى إن لم تُـجلوه
سـيـخلـد اللـؤم فى الدهر اللـئـيم وإن
أذلـه أهـلـه ـ لـؤمًـــــــا ـ وملّـوه

رثـــــــاء

نصيب الحى والميت

يا صـديقى لنا البكاء ... ولك الموت والسـلام
عـندنا النور والعـناء ! ... عـندك النوم والظلام !
ليس يأسى أخـو فناء ... بل أخٌ بعـده إقـام

* * *

أتبعُ الصحب فى القبـور ... ببكائى ، ومـا اهتديتْ
أنا لو دام لى الشـعـور ... بعـد موتى لما بكيتْ
عـالمٌ كله غـرور ... عشتُ ما عشتُ أو قضيتْ

* * *

هالكُ كلُّ مـا يكون ... تستوى النفس والصفاة
فلمن تحصـد المنون ... ولمن تزرع الحـيـاة ؟
بدأت حكمـة الجنون ... وانتهت حكمـة الهداة

* * *

رفيق الصبا (١)

رفيق الصبى المعسول أبكيك والصبا
وما كان أغلى مـا بكيت وأطيبا
وآذن فـيك الصبـر ألا يعيننى
وآذن فـيك الحـزن أن يتغلبا
ألقـاك عند النيل إن عـدت فى قنا
وأرعاك عند الجسر إن سرت مغربا ؟

---

(١) رثاء الصديق :« حسين الحكيم» من أدباء قنا المعروفين بالورع .

ونستنشد الأشعار في كل ليلة
ونطلب في كل الأحاديث مطلبا
ونحسب أن الله لم يخلق امرءاً
على الأرض إلا كي يقولَ ويخطبا
ونحصي على الدهر البريء ذنوبه
وما كان إلا مازحًا حين أذنبا
ألقاك ؟ بل هيهات قد حالت المنى
فأقربُ منها أن أصافحَ كوكبا
إذا عدت أستحيي الشبابين في قنا
وجدتك رسمًا في التراب مغيبا
وساءلت عنك الصحبَ أين مزارهُ
وأذريت دمعًا عند قبرك صيِّبا

* * *

عجيبٌ لعمري موتُ كل محبَّب
إلينا ، وقد كان التعجب أعجبا
حسين ! عرفت الموت فيك غريبة
وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا
أمَنْ هو في ذِكرِي فتى العمر ينطوي
كما طوت الأسقام شيخا معذَّبا ؟
نعم ينطوي الشبان والشيب في الردى
ورب فتىً في الردى فات أشيبا

وسيان فى عقبى الطريقين من مشى

على عصويه من عياء ، ومَن حبا

عهدتك فى شرخ الصبى ناضر الصبى

وفاجأنى الناعى فأجفلت مُكْذِبا

ألا ليته لم يعرف الصدق عمره

ولم يك إلا كاذب الظن مُغربا

* * *

رفاق حسين أبّنوه وأطنبوا

فما يخطئ الباكى سجاياه مطنبا

لقد كان ميمون النقيبة صالحًا

وكان أمين السر والجهر طيّبا

وكان عفيف القول لايقرب الأذى

ولايذكر الإخوان إلا تحبُّبا

وكان على كنز القناعة آمنًا

وإن قصر المسعى بدنياه أو نبا

إذا استمرأت مرعى الخيانة أنفسٌ

تحرّجَ منها مُعرضًا وتحوّبا

وكان عزيز النفس فى غير جفوة

ولا صلف منه ، إذا صد أو صبا

وكـــان ســـمـــيـــرًا يملك السـمع كلمـــا
تبـــسط فى أســـمـــاره وتشـــعّـــبـــا
أديبًـــا يصـــوغ الشـــعـــر والنثـــر فطرة
ويؤثر فى الآداب من كـــان مـــعـــربا
أليـــفًـــا وفـــيّـــاً لا يفـــارق صـــاحـــبًـــا
ولا منزلاً إلا انثنى فـــتـــقـــرّبا
أحبَّ قنا واستـعـذب العيش فى قنا
فلم يُغـــره عـــيش ، وإن كـــان أعـــذبا
لئن ذكـــر الوافـــون عـــهـــد ولائه
لما ذكـــروا إلا الوفىَّ المهـــذّبا

* * *

رفـــاق حسين أسـهـبـوا فـيـه واذكـروا
رفـيـقـا له يعـتـاده الحـزن مـسـهـبـا
على كثب منه اجتمعتم فليت لى
مكانا من الجـمع القنائىِّ مكثـــبـــا
كـــأنى وقـــد فـــارقـــتـــه قـــبل يومـــه
ســـمـــعت له نعـــيين يوم تغـــيّـــبـــا

* * *

إذا مـــا رثى المحـــزون إلف شـــبـــابه
رثى قلبـهُ شطرا من القلب مـخـصـبـا

وودع من عـهـديه فى العـمـر قِـبلةً
أخفّ على الروّاد زادًا وأرحـبـا
إذا جـازها أودى بمختـار عيـشـه
ولم يبق إلا مـا اتقى وتهـيـبا

* * *

أليف الصبى لاتشكُ فى الموت وحشة
فـمـازال ركب الموت أحـفل مـوكـبا
تعـاقـبت الأجـيـال تحت لوائه
وإن بعـدوا دارًا وعـهـدًا ومـأربا
ومـا الزمن المحـضـور إلا بقـيـةٌ
من الزمن الماضى تلاقت لتـذهبـا
عليك سـلام الله حـتى يظلنا
سـلامٌ أظل الناس شـرقًـا ومـغـربًا

تذييل
فى اسم الديوان

جاءنى بعد أن نشرت مقدمة هذا الديوان فى الصفحة الأدبية بالجهاد استفهام من بعض الأدباء يسألنى فيه بلهجة لاتخلو من الاعتراض : هل يحرم إذن على الشاعر المصرى أن يذكر البلبل وما إليه؟ وهو سؤال لامحل له ، لأننى لم أحرم ذكر البلبل على الشعراء المصريين ، وإنما قلت : «من العجيب أنك لا تقرأ صدى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون على كثرة ما يسمع الكروان فى أجوائنا المصرية من شمال وجنوب ! وأعجب منه أنك لاتقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تسمع فى هذه الأجواء» .

فالذى يلام عليه الشاعر أن يدع طائراً مغرداً جميل التغريد لاشك فى وجوده وكثرته فى الأجواء المصرية ثم يجعل شعره من هذا النحو وقفاً على فصائل من الطير توجد عندنا فى بقاع محدودة أو لا توجد إلا أيام الهجرة العارضة .

فالطائر المعروف باسم البلبل يقيم عندنا بين الفيوم وبنى سويف ويتفرق على قلة فى أنحاء الصعيد ، وقلما يصل إلى القاهرة والأقاليم الشمالية .

أما الطائر الذى يقرءون عنه فى الآداب الأوروبية أو الفارسية ويحسبونه «البلبل» فليس هو البلبل المصرى «أولا» ولكنه إما أن

يكون العندليب أو الهزاز أو فصيلة أخرى ، وهذه الفصائل - بعدُ - مهاجرات يندر أن تنطلق بالغناء على سجيتها أثناء الهجرة المصرية .

فمن التقليد المعيب أن نخص العنادل والبلابل بالوصف والإعجاب ونهمل الكروان وهو مقيم فى جميع أجوائنا ، ومنه فصائل ترود بلادنا كما يرودها غيرها ، ولايُفهم من ذلك إلا أن الناظم يطرب على المحاكاة ولايفقه لماذا يكون الطرب لغناء الأطيار .

الفهرس

من مؤلفات عملاق الأدب العربي الكاتب الكبير عباس محمود العقاد

١ ـ الله

٢ ـ إبراهيم أبو الأنبياء

٣ ـ مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية

٤ ـ عبقرية محمد ﷺ

٥ ـ عبقرية عمر

٦ ـ عبقرية الإمام علي بن أبي طالب

٧ ـ عبقرية خالد

٨ ـ حياة المسيح

٩ ـ ذو النورين عثمان بن عفان

١٠ ـ عمرو بن العاص

١١ ـ معاوية بن أبي سفيان

١٢ ـ داعي السماء بلال بن رباح

١٣ ـ أبو الشهداء الحسين بن علي

١٤ ـ فاطمة الزهراء والفاطميون

١٥ ـ هذه الشجرة

١٦ ـ إبليس

١٧ ـ جحا الضاحك المضحك

١٨ ـ أبو نواس

١٩ ـ الإنسان في القرآن

٢٠ ـ المرأة في القرآن

٢١ ـ عبقري الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده

٢٢ ـ سعد زغلول زعيم الثورة

٢٣ ـ روح عظيم المهاتما غاندي

٢٤ ـ عبدالرحمن الكواكبي

٢٥ ـ رجعة أبي العلاء

٢٦ ـ رجال عرفتهم

٢٧ ـ سارة

٢٨ ـ الإسلام دعوة عالمية

٢٩ ـ الإسلام في القرن العشرين

٣٠ ـ مايقال عن الإسلام

٣١ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه

٣٢ ـ التفكير فريضة إسلامية

٣٣ ـ الفلسفة القرآنية

٣٤ ـ الديمقراطية في الإسلام

٣٥ ـ أثر العرب في الحضارة الأوربية

٣٦ ـ الثقافة العربية

٣٧ ـ اللغة الشاعرة

٣٨ ـ شعراء مصر وبيئاتهم

٣٩ ـ أشتات مجتمعات

٤٠ ـ حياة قلم

٤١ ـ خلاصة اليومية والشذور

٤٢ ـ مذهب ذوي العاهات

٤٣ ـ لا شيوعية ولا استعمار

٤٤ ـ الشيوعية والإنسانية

٤٥ - الصهيونية العالمية
٤٦ - أسوان
٤٧ - أنا
٤٨ - عبقرية الصديق
٤٩ - الصديقة بنت الصديق
٥٠ - الإسلام والحضارة الإنسانية
٥١ - مجمع الأحياء
٥٢ - الحكم المطلق
٥٣ - يوميات - جزء أول
٥٤ - يوميات - جزء ثانى
٥٥ - عالم السدود والقيود
٥٦ - مع عاهل الجزيرة العربية
٥٧ - مواقف وقضايا فى الأدب والسياسة
٥٨ - دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية
٥٩ - آراء فى الآداب والفنون
٦٠ - بحوث فى اللغة والأدب
٦١ - خواطر فى الفن والقصة
٦٢ - دين وفن وفلسفة
٦٣ - فنون وشجون
٦٤ - قيم ومعايير
٦٥ - ديوان فى الأدب والنقد
٦٦ - عبد القلم
٦٧ - ردود وحدود

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

طبع بمطابع الشركة بمدينة السادس من أكتوبر



من شعر عملاق الأدب العربي
عباس محمود العقاد

١. ديوان يقظة الصباح
٢. ديوان وهج الظهيرة
٣. ديوان أشباح الأصيل
٤. ديوان وحي الأربعين
٥. ديوان هدية الكروان
٦. ديوان عابر سبيل
٧. ديوان أعاصير مغرب
٨. ديوان بعد الأعاصير
٩. ديوان عرائس وشياطين
١٠. ديوان أشجان الليل
١١. ديوان من دواوين

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع